جامعة إفريقيا العالمية

المركـز الإسلامـي الإفريقـي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ - ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ - ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم - السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية

(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم

الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون
الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف

الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد	رئيساً .
٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن	رئيساً مناوباً.
٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله	عضواً .
٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد	عضواً
٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس	عضواً .
٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين	عضواً .
٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون	عضواً مقرراً .
٨) السماني علي أحمد	عضواً .

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

(أ)

المحتويات

م	الموضوع	رقم الصفحة
1.	المحتويات	أ
2.	مقدمة الكتاب	ب
3.	تقديم الكتاب بروفسور حسن مكي محمد أحمد	ج
4.	الأسس القرآنية للفكر التوحيدي لمدارس العقيدة وعلم الكلام (د.قاسم جاخاتي - السنغال)	١ ـ ٢٩
5.	الحوار مع غير المسلمين من منظور قرآني (أ.د. السيد محمد السيد عمر –مصر)	٣١ - ١١٢
6.	خصائص الحوار وأساليبه في القرآن الكريم (د. عثمان علي حسن –السودان)	١١٣- ١٤٩
7.	القرآن في الخارطة المعرفية لحركة الإصلاح في الأمة الإسلامية (د. حسان عبدالله حسان- مصر)	١٥١ ـ ١٩٦
8.	قضية الألفاظ غير العربية في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث (د. كمال محمد جاه الله الخضر- السودان)	١٩٧ ـ ٢٣١
9.	الترجمات العبرية لمعاني القرآن (أ:أحمد صلاح أحمد البهنسي –مصر)	٢٣٣ ـ ٢٦١

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

10.	حركة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانية الى لغات ساحل العاج)– د. آدم بَمْبا (غرب إفريقيا الكبرى	٢٦٣ – ٢٩٨

(ب)

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحهاً لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.

ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

(ج)

تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ،الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ،هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ،ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ،وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير . عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام . نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(د)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة للّه، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان—وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقَّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياَ وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

وأنا ، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها ، وللسودان وأهله ودولته ، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً ، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

International University of Africa IUA جامعة إفريقيا العالمية

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

الحوار مع غير المسلمين من منظور قرآني

المحور الأول: الرؤية التوحيدية في بناء العقل العلمي في القرآن

(الحوار القرآني مع غير المسلمين)

إعداد:

أ.د. السيد محمد السيد عمر

أستاذ النظرية السياسية الإسلامية بجامعة حلوان بمصر

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة العلوم التطبيقية بالبحرين

dr_sayedomer@yahoo.com

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

مستخلص البحث:

تتقّب هذه الدراسة في ظاهرة الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وهي تنطلق من ملاحظة أن المبادرة التي قدمها الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، والتي تمخض عنها ما سمي: العام الأممي لحوار الحضارات، بقيت مجرد شعار، ولم يبذل جهد يذكر لتحويلها إلى نظرية تستند عليها الأمة الإسلامية في الحوار الذي دعت الغرب إليه، في حين أنتج الغرب عدة نظريات معبرة عن رؤيته الكلية المقابلة، مثل: صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، وحوار الحضارات، والعولمة، والإرهاب .

وترمي هذه الدراسة إلى الوصول إلى عتبة بناء نظرية التدافع الإنساني المعبرة عن الرؤية الكلية الإسلامية ، التي تتحدد بها مرجعيتها في عملية الحوار مع غير المسلمين بكافة معطياتها . وبما أن الإسلام رسالة للناس كافة، فإن هذه المقاربة المعرفية ترى أن البشر ينقسمون إلى: أمة إجابة وأمة دعوة، الأولى تشمل من دخل في الإسلام، والثانية تشمل كل من هم على قيد الحياة بوصفهم إخوة في الإنسانية، ومن الوارد أن يصيروا أيضا إخوة في الإسلام. وناظم أمة الإجابة في كل علاقاتها هو كلمة التقوى، الناظم الذي تدعوإليه أمةالدعوة هو كلمة سواء بين الأمتين.

ويقوم معمار هذه الدراسة على الحفر المعرفي في مضامين مفهوم الحوار في لساننا العربي، ثم يدلف منه إلى البحث عن خيوط تلك النظرية في نماذج للحوار مع غير المسلمين واردة بالقرآن الكريم، ثم يعمق ما توصل إليه عبر

أنساق مجموعة من المفاهيم القرآنية المفتاحية، ويبني من خلالها مفهـــومي: كلمة التقوى، ولباس التقوى، ومفهوم: الكلمة السواء، وتختم الدراسة بمعايرة خاطفة لعينة من الأدبيات التي أنتجها مفكرون مسلمون بعد مبادرة خاتمي

Research Abstract

This study digs Epistemologically in the sphere of the phenomenon of dialogue between Muslims and non-Muslims. It starts from the observation that the initiative of former Iranian President Mohammad Khatami, which resulted in the so-called: UN year for dialogue of civilizations, remained just a slogan, and did not convert to a theory based on overall world overview Islamic vision that guides the Islamic Nation in that dialogue with the West, while the West has produced several theories that reflect its overall world overview vision for East – west dialogue, such as: the clash of civilizations, the end of history, the dialogue of civilizations, globalization, and terrorism.

This study aims at reaching the threshold of building a genuine Islamic epistemological theory for rational human dialogue process calibration .As long as the message of Islam is for all human beings, humanity includes two main nations : EL-Dawa Umma and El-igabah Umma. The First include Muslims. The second includes all those who were alive ,as they are brothers in

humanity, and may become brothers in Islam. The system of El-igabah Umma is based on the word of piety. The milestone of mutual relations between the two nations is the word of equity and justice.

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

حدود الدراسة وإطار المعالجة :

بالتزامن مع طرح صمويل هانتنجتون لنظرية صراع الحـضارات، طـرح المفكر الإسلامي محمد خاتمي على الجمعية العامة للأمم المتحدة مبـادرة حـوار الحضارات، ولقيت دعوته تلك استجابة دشنت بعام أسمته الأمم المتحدة عام حـوار الحضارات.

بيد أن المفارقة أن رؤية خاتمي لم تجد من يطورها، ولا من يعينه على تطويرها من داخل الجماعة المعرفية المتخصصة ، في حين طور هانتنجتون أطروحته من مقال إلى كتاب موسع، وتكرر الأمر نفسه مع نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، وسلطت قنوات الإعلام الغربية العملاقة، وما يدور في فلكها من وسائط إعلامية الضوء عليهما. وتظاهر الخطاب الغربي الرسمي بالمفاصلة مع أولاهما ، في حين تبناها في سياسته الدولية، وفي مجمل تعاملاته خاصة في مواجهة عالمنا الإسلامي والجاليات الإسلامية والعربية بالخارج.

والأغرب أن مبادرة خاتمي كشفت عن تقصير الجماعة العلمية المسلمة غير المبرر، كونها لم تخرج للبشرية بعد، نظرية للحوار من المعين القرآني الصادق المهيمن، رغم حقيقة أن الحوار ظاهرة سابقة على استخلاف الإنسان في الأرض، وأحد لوازم الحرية التوحيدة المسؤولة، وبمقام الملح في كل علاقة بين البشر من مستوى الأفراد والأسر، مرور بمستويات العشائر والبطون والأفخاذ و القبائل والشعوب حتى مستوى الأمم.

فالحوار لم يبدأ بدعوة خاتمي، ولكن تلك الدعوة نبهت إلى ضرورة بناء نظرية للحوار من القرآن، و برهن حوار أدبيات الحوار التي صاحبتها وتلتها، لكونها انطلقت من مرجعية ومن منطق الدولة القومية ، وليس من مرجعية قرآنية أمة واحدة، مكلفة بأن تكون خير أمة أخرجت للناس، على محورية إخراج تلك النظرية.

وتحاول هذه الدراسة الشروع في غزل خيوط قرآنية، عساها تنسج منها لاحقا مثل تلك النظرية. وتحض على وضع هذا الأمر على قمة جدول بحوث الجماعة المعرفية الإسلامية عبر إبراز مغبة السباحة بدون مثل تلك البوصلة ، في بحر عملية الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، في ضوء قراءة نقدية لِعَيّنة من الأدبيات تتمثل في رؤية خاتمي ،ودراسات بمؤتمر عقد بدمشق حول الحوار بين الشرق والغرب ، بعد عامين من تبني الأمم المتحدة لتلك الدعوة .

ولقد ورد لفظ (يحاور) ولفظ (تحاور) بالقرآن الكريم في موضعين، أولهما بسورة (الكهف:٣٤،٣٧)، متعلق في الآية الأولى برؤية كلية غير قرآنية، وفي الآية الثانية برؤية كلية قرآنية. وتمثلت عملية الحوار في الجدل بين الرؤيتين بخصوص طيبات هذه الحياة الدنيا، والعلاقة بين البشر،والمآلات المترتبة على الأخذ بأي من تلكما الرؤيتين. أما الموضع الثاني فيتعلق بحوار معياري محكوم برؤية كلية قرآنية، كونه دار بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين امرأة مسلمة مهمومة بشأن الاستقرار الأسري بعامة، وعدم تضييع الصغار بخاصة، سمعه الله

وفصل فيه (المجادلة :١). ودرسه الأهم هو حاجة الحوار بين المسلمين مهما كان مستوى أطرافه إلى منهج منزل من عند الله تعالى.

وتكشف مضامين مفهوم الحوار ونظائره، في لساننا العربي، وفي القرآن أنه يتعلق بظاهرة عامة في موضوعها وفي أطرافها، تمس الحاجة إلى تأسيس قرآني رصين لها. وكما أن بالكون من كل نوع زوجين ، ولا ينفرد بالأحدية والصمدية إلا الله تعالى ، فإن الحوار على أنواع حسب مرجعيته، وحسب أطرافه. فقد يكون حوارا بين أطراف تجمعهم رؤية كلية إيمانية، أو تجمع بينهم رؤية كلية غير إيمانية. وقد يكون بين أطراف تتباين رؤاهم الكلية.

وتحفر هذه الدراسة الأولية في فضاء بناء نظرية معرفية قرآنية للحوار بين الأمم، متبعة منهاجية التحليل السياقي للقرآن الكريم، وسبيلها إلى ذلك هو رسم معالم كبرى للغاية لمعيارية قرآنية للحوار بين المسلمين وغير المسلمين. والنموذج الوارد بسورة الكهف هو النواة التي تنطلق هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤالها البحثي، عبر استقرائه، في سياقه المباشر، والقريب، وفي سياق اعتبار القرآن كله جملة واحدة، بل كلمة واحدة، باستدعاء خبرة ثلة من نماذج الحوار الأخرى، الواردة بالقصص القرآني، مثل: النموذج الفرعوني، والنموذج القاروني، ونموذج مدين شعيب، والنموذج اليهودي، ونموذج ملكة سبأ، فضلا عن التوجيهات القرآنية ذات الصلة، وتنتهي بمقاربة بين واقع الحوار وتلك المعيارية.

وبذا يقوم معمار الدراسة على: تمهيد يتعلق بمضامين مفهوم الحوار في لسان العرب، وصلب متعلق ببنية ظاهرة الحوار في القرآن الكريم، وخاتمة متضمنة لإطلالة سريعة على مدى تمثل تلك المعيارية في عينة من أدبيات الحوار في الحلقة الراهنة منه، منذ أن أطلق الرئيس الإيراني السابق الدعوة إليه مع مطلع الألفية الميلادية الثالثة.

المبحث الأول: المضامين اللغوية لمفهوم الحوار ونظائرها

يتبين للناظر في مضامين مادة (حور) في لساننا العربي أن مفهوم الحوار مفهوم محايد، يتعلق توجهه ومآله، جملة وتفصيلا بموضوعه ومرجعيته ومضامينه. فـــ (الحَور) هو: الرجوع عن الشيء أو إليه، وكل شيء تغير من حال إلى حال، ورجوع ما نسب إلى المرء إليه، والتحير والحيرة والنقصان من بعد الزيادة .

والحوار بهذه المضامين حالة تتردد بين الإيجابية والسلبية حسب مضمونها، فالعرب يقولون: (حار بعد ما كان)، بمعنى أنه كان على حالة محمودة فرجع عنها، وخرج على الجماعة بعد أن كان فيها، فالحور: فساد الأمر بعد صلاحه، وأصله من نقض العمامة بعد لفها، ومن هذا القبيل أيضا قول العرب (الباطل في حور) أي في نقص ورجوع وبوار، وقولهم :(زاد القوم في حور)، أي أكلوا اللحم قبل أن ينضج، وضربهم المثل بقولهم :(فلان حور في محارة) للشيء كان صالحا ففسد، أو بات مستعصيا على الإصلاح.

والحوار عملية تفاعلية بين طرفين أو أكثر، تشمل: الاستنطاق، والتجاوب، ورد الجواب، ومراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، ومن ذات معين هذه المضامين تأتي سمة الموصوف به شخصا كان أو شيئا أو موضوعا، أو ناظما، ويرتبط المفهوم بالتطهر والنصرة والنصح والإلتقاء على رأي، ووجود علاقة قرب مكاني بين أطرافه، فالتحوير هو: التبييض، وتطهير الثوب وإزالة ما عليه من دنس. والمحور هو العود الذي تدور عليه البكرة، والخشبة التي يبسط بها العجين.

والحواريون هم القصارون لتبييضهم الثياب وغسلها، ثم أطلق على الشيء الخالص، وعلى الناصح، وعلى كل ناصر مخلص، وعلى لباب الدقيق وأجوده، وعلى الصفوة من الأتباع. والحيرة هي الأرض المخضرة المبتلة، والحارة: كل محلة دنت منازلهم. والحائر: المكان الذي يسيل إليه ماء المطر ويجتمع فيه، والموضع المطمئن والبستان. والحير: شبه الحظيرة والحمى، والأحوري: الأبيض الناعم من أهل القرى، والحوريات: النقيات البياض.

ويلخص صاحب مقاييس اللغة المضامين السالفة بالقول بأن (حور) ثلاثة أصول: أولها **اللون** (شدة بياض العين في شدة سوادها، وتبييض الثياب، ومبيضها)، و يرتبط الحوار من هذا الأصل اللغوي بإيجاد نموذج للصلاح عبر عمليتي تخلية وتحلية، بشكل يقيم الحجة، بالتعاون في التخلص من العيوب والخبائث، وستر العورات، أو بتعبير آخر بالتزام **كلمة التقوى ولباسها**. والأصل الثاني: **الرجوع**، وفي هذا الأصل يعتبر الرجوع إلى الحق فضيلة، وتنقيص أوجه الوهن والتخفف منه مطلبا، والعكس صحيح، وكل نقص ورجوع حور، والعبرة بالتالي، هي بقِبلة النقص والرجوع، والأصل الثالث هو: **دوران الشيء**، و هذا الأصل يستدعي أمرين في آن واحد: الحركة والتحريك ، وناظمهما، و العبرة هنا بنوع الناظم وبوجهة الحركة، وبمدى صحة الصورة الإدراكية للحق والباطل لدى أطرافه.

ويضيف ابن فارس مدلولا شذ عن هذه الأصول الثلاثة، له أهميته البالغة بالنسبة لمآل الحوار، وهو:**حوار الناقة**، وهو ولدها، وهذا المدلول مرتبط بعاقبة

الخروج المتعمد على شرع الله تعالى في التعامل مع آياته ومخلوقاته، فالعرب يقولون:(ألا تخافون يوما قد أظلكم فيه حوار بأيدي الناس ؟) في إشارة إلى يوم مشؤوم كشؤم حوار ناقة الله على ثمود[1].

وتضعنا هذه المضامين اللغوية أمام أسئلة محورية يجب التنقيب عن إجابات لها، ونحن نسعى لغزل خيوط لنسيج نظرية للحوار من القرآن المنزل بلسان عربي مبين: ما قبلة أطرافه في التخلية والتحلية المرادة عبره؟ ما اللون المبتغى التوصل إليه عبر الحوار بالنسبة للأنا المسلم بكل روافد تركيبته، وبالنسبة للطرف غير المسلم بكل روافد تركيبته كذلك ؟ وما هو اتجاه الرجوع ؟ وأي الطرفين أملك للحجة في بيان وجهة الرجوع التي يراها، والاستمساك بها؟ وما هو ناظم دوران العلاقة بين الطرفين؟ وما هو المصل الواقي من عدم الوقوع فيما وقع فيه من عقروا ناقة الله؟.

والمستفاد من تلك المضامين: أن الحوار مجرد وسيلة لغاية، يحتاج التعاطي الرشيد معه إلى الحفر المعرفي في مضامينه وأنماطه، والرؤى الكلية المتجادلة بواسطته، وسننه وأسسه ودوافعه وضوابطه وآلياته ومآلاته. فهو قد يكون رجوعا عن صواب أو عن خطل، أو إلى واحد منهما، وقد يفضي إلى تغير الحال من السيء إلى الحسن، أو العكس بالنسبة لأحد أو لكل أطرافه. وقد يرتبط بعودة ما نسب إلى طرف ما من صلاح أو من فساد إليه، وقد يمثل حالة ضبابية مسكونة بالحيرة والتحير والتذبذب، وقد يمثل وضعية مماثلة للناقضة غزلها من بعد قوة أنكاثا، بالتحول بعد اجتماع الكلمة إلى التفكك، ومن بعد الزيادة إلى النقصان، وفساد

الأمر بعد صلاحه. وكما أن غير المسلمين ليسوا سواءَ ، فإن المسلمين ليسوا سواءَ. والأنماط البشرية متصلة، والتداخل بينها وارد، وترتبط مكانة كل طرف في الحوار بمدى الإجماع في التصور والنية والإرادة والعمل في صفه، والحوار يقوم على إعداد مسبق، وأداء في ساحته محكوم بعمق ما وراءه من مدد مؤازرة وتصويب. فلننطلق من هذه المضامن في لساننا العربي الذي تنزل به القرآن صوب تلمس علامات على طريق بناء نظرية قرآنية للحوار بين المسلمين وغير المسلمين من بين نظائر مفهوم الحوار في القرآن الكريم: المجادلة، والمناقشة، والمراجعة، والمناظرة[ii]. وهي كلها مفاهيم محايدة، تتحدد وجهتها بقبلة كل طرف في الحوار. فقد يكون الدافع هو ابتغاء الوصول الى الصواب في مسألة موضحة ومختلف عليها بين أطرافه، أو إلزام الطرف الآخر بحجة دامغة وبرهان قاطع، أو المكابرة والانقياد للهوى ومطلق اللجاجة. ولا يوجد مصدر يماثل القرآن في إمكانية بناء نظرية لظاهرة الحوار بكل أبعاده فالله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾(**الكهف٥٤**)، فلا عاصم للإنسان الموصوف بالحق بكونه أكثر المخلوقات قدرة على الجدل، في مواجهة تلك الصفة غير الاستعانة بالقرآن، المبين لكل أبعاد الجدل **بنوعيه: المحمود** المحاكي لذاك الذي قال الله تعالى بحقه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾(**المجادلة:١**)، والمجادلة المأمور بها وهي مجادلة غير الظالمين من أهل الكتاب بالتي هي أحسن، و**الممقوت** عند الله وعند المؤمنين المبين

في قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ (غافر:٣٥)، وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (الأنعام:١٢١) .

وستسعى هذه الدراسة إلى جمع خيوط نظرية الحوار المبثوثة في تلك المثلات، عبر خطوات ثلاث نخصص لكل منها مبحثا رغم ما بينها من تداخل، **أولاها: قراءة** لنموذج الحوار بين صاحب الجنتين وصاحبه في سياقيه المباشر والقريب في سورة الكهف. **والثانية:** استدعاء مضامينه في نماذج مماثلة. **والأخيرة:** سبر عمقه عبر مجموعه من منظومات ثلة من المفاهيم المفتاحية متعلقة بسنن عملية الحوار بين أصحاب الرؤية الكلية التوحيدية وأصحاب الرؤى الكلية المقابلة.

المبحث الثاني: منظومة عملية حوار المجعول له جنتين وصاحبه في السياقين المباشر والقريب :

النموذج الذي نحن بصدد رسم خريطة منظومة الحوار من خلاله، مثل مضروب للبشرية في كل زمان ومكان، خاص بنمطين من البشر، ضربه الله تعالى للمؤمن وغير المسلم الذي أبطرته النعمة. وموضوع الحوار فيه هو: الجدل بشأن الطريقة المثلى للتصرف في حال حيازة المال والنفوذ، هل هي التدبير بمطلق العقل والهوى؟ أم بمنهج إلهي؟ وما المآل في كل من الحالتين للمال ولصاحب

المال؟ وغاية هذا المبحث رصد منظومة هذا المثل من سياقه المباشر، ثم من سباقه ولحاقه بسورة الكهف، **على النحو التالي :**

أولاً: منظومة عملية حوار المجعول له جنتين وصاحبه في سياقه المباشر: يدور الحوار في هذا النموذج بين طرفين، يصف النص القرآني آصرة العلاقة بينهما **بالصحبة،** فالبشر جميعا يشتركون في البنوة لآدم وحواء، والمجتمع المسلم ليس قاصرا على المسلم، والعلاقة بين المسلم وغيره علاقة وصال وبلاغ، تستوجب التزود والأخذ بأسباب إتيان الله تعالى الحجة على البشر ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد البلاغ المبين. والحوار في هذا المثل القرآني، قاد إلى مآل، وليس إلى بناء قناعة مشتركة بشأن موضوعه، بما لذلك من دلالات تتضح لاحقا.

و تدور الجدلية في هذا النموذج حول رؤية طرف يرى طلب الدنيا لذاتها، ويفقد القدرة على محاكاة الصلاح المتمثل في قيام كل شيء بالمهمة التي خلقه الله لها على أحسن وجه دون إنقاص ولا ظلم، فالجنتان هنا تأتيان أكلهما، ولا تظلمان منه شيئا، بينما يدخلهما صاحبهما المكلف بحفظ الأمانة دخول الظالم لنفسه، المبدد لهما والمهلك من بعد لنفسه، جراء تطاوله بهما على إخوانه من البشر، وسعيه لفتنتهم في الدين. أما الطرف الثاني فهو في مقام المفكك لتلك الرؤية المبين لعوارها، الدال على المخرج منها، المنبه إلى عاقبة الإصرار عليها .

فالصاحب الثري يأخذ بيد أخيه ويدخل به في جنته، وهي في غاية تألقها وبهائها ونمائها، والأنهار التي هي مادة حياتها تجري فيها، وبحوزة صاحبها كافة صنوف المال، وهو يستدرجه بما فيها ويفاخره[iii]، ويروج نموذجه، ويغريه به، مستمدا حجية رؤيته من كونه هو الأكثر مالا، والأكثر ولدا وعبيدا وعشيرة ورهطا، ويسعى هذا الصاحب إلى تعدية ظلمه لنفسه إلى غيره. فينكر فناء الدنيا، وينكر البعث ومن ثم الحساب، ويقول على سبيل الافتراض: أنه لو صح أن هناك بعثا وآخرة ، فإن من حققوا الكثرة في المال والأتباع في الدنيا سيكونون هم الأجدر بعطاء أكثر منه في الآخرة.

ومن معين اليقين الإيماني تأتي الحجة التي جادل بها المؤمن صاحبه، والتي تحصن هو بها ضد القابلية للفتنة وظلم النفس، وفند مقولات صاحبه ،ودله على مفتاح التغيير الصحيح. وسنام حجته هو التذكرة بأن الله الذي خلق آدم من تراب وذريته جميعا من نطفة قادر على البعث، ولا يشك في البعث إلا من لا يؤمن بأن الله خالقه، والتأكيد في هذا المقام أنه ثابت على التوحيد الخالص لا يتزحزح عنه، والتنبيه إلى أن حفظ العمران يقوم على التصرف تجاهه بشرع الله تعالى، بأن يدخل جنته دخول المقر بأنها من مشيئة الله تعالى، الذي لا يكون إلا ما يريد ، ولايقوى أحد في بدنه ولا في ملكه إلا بما يشاء وإلا بحوله وقوته سبحانه وتعالى، وأن معايرة الأفضلية بكثرة المال والولد، لا تستقيم على ساق، فكفران النعمة يذهبها، وحسن الإيمان يبدل الله به وراثة الأرض، ثم يحدد المآل ، فيما لو أصر كل منهما على رأيه بعد هذا البلاغ: أن يؤتي الله

العبد المؤمن الصالح الناصح خيرًا من جنة صاحبه المتكبر بالنعمة، ويرسل من عنده هلاكا بقدر تلك الجنة يذهبها بقضاء رباني مبرم، لا موضع لتداركه بفعل ذاتي، ولا بالاستعانة بآخرين. ونوعية المآل بالغ الدلالة في هذا الموضع: الماء يغور، والأرض ذاتها تصير ملساء تزل عنها الأقدام، فلا تصلح لأي نشاط آخر، والهلاك يجيئ بحيث لا يصيب غيرها[iv].

والحوار في هذا النموذج متصل علاقي، على **طرفه الأول** نمط سمته: التفاخر والتكاثر والفصل بين الدين والشأن الحياتي، واعتبار الملاءة الدنيوية ظاهرة أبدية، والاستعلاء بها على غيره من البشر، إما ظناً بأن هذه الحياة الدنيا لا بعث بعدها، وإما بالزعم بأن النجاح فيها دليل على قابلية، بل على استحقاق، لنجاح أكبر في أية حياة مفترضة بعدها. وعلى **طرفه المقابل** نمط سمته: معايرة الفلاح في الدنيا والآخرة بشرع الله تعالى.

فالنعم دعت الأول إلى الاستعلاء والاستغناء بالمال والولد، فظلم نفسه بأن أرخى لها عنان الشهوات، وأمات وجدانه الفطري السليم بالغرور بواقع ملموس أمامه لم يقف عند حد استبعاد زواله فحسب، بل تجاوزه إلى نفي قيام الساعة، والزعم بضمان ما هو أفضل منها فيما لوحدث وقامت.

وجمع صاحبه في الرد عليه بين نقض تلك الرؤية، وبين إرشاده إلى مفتاح الخير الذي تدوم به النعمة عليه في الدنيا والآخرة، وأعلمه أن سبيل الإيمان في استقبال النعمة هو رد النعم إلى المنعم والإقرار بأنها أمانة لاتدوم إلا بحول الله تعالى وباستحفاظه عليها، فمن طابع المؤمن الإبانة والسعي إلى

نصح غيره، وتعليمه كيف يكون مثله، انطلاقا من يقينه بأنه لا يؤمن إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه[v]. وزبدة محاورته لصاحبه هو المراجعة والبلاغ المبين المحدد لما تدوم به النعمة في الحياة الدنيا، والتحذير من عاقبة جحودها في الدنيا والآخرة، وبلغة أخرى، الصدع بكلمة التقوى والسعي إلى كلمة سواء.

والحوار يدور في ظل وضعية ابتلاء متمثل في تقلب العاصي في النعيم، وطاعة المؤمن مع مكابدته الفقر في مستهله، وسريان سنة الله الخاصة بالتبديل بعده. ففي النص القرآني إشارة إلى أن كفر ذلك الصاحب كان بالإشراك، بعدم صرف المشيئة إلى الله، والشك في البعث، وحينما أحيط بثمره ندم فحسب على ما أنفقه في عمارة جنته من أموال لكونه من أفعاله الاختيارية، وتذكّر وصية صاحبه، وعلم أنه إنما أوتي من قبل شركه، بيد أن تمنيه لو أنه لم يشرك لم ينفعه لكونه صدر منه وهو في وضعية الاضطرار والجزع. والله يقول في سورة غافر: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[vi].

وتكشف هذه المعالم على الطريق عن بناء نظرية للحوار مع غير المسلمين من القرآن الكريم، أنه: لا حوار دون تواصل بين أطرافه، والحوار ليس نزهة، بل نوع من الابتلاء، تلزمه دراية بما لدى الطرف غير المسلم، ووزنه بميزان الإسلام. والغاية من الحوار هي إقامة الحجة، وليس تحصيل تحول الطرف

الآخر عن معياريته، والبلاغ المبين هو شرط وراثة الأرض، وعدم شمول الهلاك لغير الذين ظلموا، أو بالتعبير القرآني الوارد بهذا النموذج (الإهلاك بحسبان). والمؤمن في هذا النموذج عالم بالموازين الصحيحة، ناصح أمين حتى لمن يسعى لإضلاله، كاشف عن سنن العمران التي لا تتبدل ولا تتغير. فاتباع سنن من هلك من الأمم الخالية في النظر إلى بحبوحة الحياة الدنيوية بعين الظالم لنفسه، وليس بعين من يريدون وجه الله والدار الآخرة، لا يؤدي إلى مزيد من الفتنة لغير المسلمين فحسب، بل يقلب الموازين ويزين الباطل، ويحول الحوار إلى حوار بين قابل للعطب ومعطوب[vii]. والسؤال المركزي الذي تطرحه هذه المضامين: كيف ندخل جنة الغرب المعاصرة ؟ وكيف نحاوره فيما لو استلهمنا مضامين هذا النموذج ؟. فلنعمق إطار الإجابة بقراءة خاطفة لهذا النموذج في سياقه القريب.

ثانيا : مضامين النموذج في سياقه القريب: سبق هذا المثال المضروب للحوار مع غير المسلمين بسورة الكهف، بيان من أهم معالمه تقرير: **صفة القوامة والهيمنة** للقرآن الكريم، وارتباط أثره بنوعية مستقبله، تمشيا مع منطق بناء التكليف الرباني على الحرية المسؤولة، وتأكيد أن الشرك هو أبلغ الكذب، وتحديد مهمة الرسل بالبلاغ المبين، في سياق منظومة البلاء بالخير والشر في هذه الحياة الدنيا.

وأعقب هذا البيان نموذج أصحاب الكهف والرقيم المتمسكين بالتوحيد والمعتزلين للشرك، وهم حريصون في تعاملهم مع مجتمعهم على الأخذ

بالأسباب التي تحول دون ظهور قومهم من غير المؤمنين عليهم، فمآلهم مع هذا الظهور بمنطق الأخذ بالأسباب هو الإبادة الجسدية، أو الإعادة إلى الكفر، ومن ثم المفارقة الأبدية للفلاح. ثم يأتي النهي عن المبالغة في الحرص على دخول غير المسلمين في الإسلام، مصحوبا بالأمر للنبي وللأمة من بعده بصبر النفس مع من يدعون ربهم في كل حين يريدون وجهه، وجعلهم الهم الأول ،وعدم الوقوع في طاعة غافل القلب عن ذكر ربه المتبع لهواه.

ويلي ذلك تذكير بمشهد الآخرة، ونموذج موسى مع عبد صالح – آتاه الله رحمة وعلما من عنده– رجاء نصيب من الرشد عبر تعلم العلم النافع، وهو موقف تعليمي يؤشر على حاجة الجميع للاستزادة من العلم والتأدب، وعلى أن تذكر الخبرة الماضية هو أهم ما يمكن أن يستعين به الإنسان في قراءة الحاضر، وبناء الرؤية المستقبلية، لشدة التشابه بين المواقف التعليمية وخبرة موسى السابقة. فالإحساس بالرهق لم يأتي إلا بعد تجاوز النقطة التي يوجد فيها مطلوب موسى كما حدده له الوحي المنزل، والسبب هو النسيان، والتشابه بالغ بين المواقف الثلاثة في هذا الموقف التعليمي: قتل نفس، و النجاة عبر ما ظاهره الهلاك لدى اتباع الوحي، وتقديم يد العون لمحتاجين، وتلك التي جرت لموسى قبل هذا الموقف التعليمي: إلقاء أمه به في اليم رضيعا، وقتله بطريق الخطأ، وسقايته لابنتي شعيب، وفي هذا الموقف خط إرشادي بالغ الأهمية يتمثل في تفضيل موسى عليه

السلام معايرة ما يحدث أمامه بالظاهر، على الانتظار والصبر على تأويل ما يبدو ظاهره مخالفا لشرع الله تعالى، حتى لو كان فاعله موثوقا به كمن كان يتعلم منه.

وفي المقابل يؤكد النموذج على عجز أي إنسان عن معرفة مآلات الأمور إلا ببرهان من الله تعالى، وأن مآل كل ما يطابق الشرع بيقين هو خير، فالخير يدور مع شريعة الله وجودا وعدما، والصبر هو شرط الفرز الصحيح لما قد نكرهه وهو خير، مما قد نحبه وهو شر.

ثم يأتي نموذج ذي القرنين مع من وصفهم القرآن بأنهم ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾(**الكهف٩٣**)، مشيرا إلى أن العجز ليس في الإمكانيات التي سخرها الله لخلافة الإنسان في الأرض، وإنما في التقاعس عن استعمالها بالأخذ بالأسباب، وتوليدها، والترقي في الأخذ بها. فذو القرنين أقام بهم وبموارد موجودة بحوزتهم –ولكنها معطلة– ما كف به أذى غيرهم، مع تنبيههم إلى أن بقاء فاعلية الأسباب بيد مالك الأسباب سبحانه وتعالى.

ويختتم هذا السياق القريب بتلخيص الفلاح كله في: التوحيد، والعمل الصالح بصفتهما مؤشرين على رجاء لقاء الله تعالى، وبصلة الفعل الإصلاحي في كل هذه النماذج هي تجفيف منابع الظلم، والانحياز للمظلومين .

المبحث الثالث: مضامين النموذج في سياق نماذج قرآنية مناظرة:

تعزز نماذج قرآنية أخرى عديدة ما رصدناه حتى الآن من خطوط عريضة لمنظومة الحوار في المنظور القرآني، فلنعمق تلك الأسس بالتدبر في **مضامين النماذج التالية :**

أ) نموذج فعل أهل القرية حاضرة البحر: هذا نموذج لحوار بين ذات حضارية واحدة بشأن مسألة انقسم المعنيون بخصوصها إلى: **طرف** يعمل مخالفاً لشرع الله، ومعه من وافقه على ذلك، **وطرف** يحاورهم: ليردهم إلى الصواب، أو لينجوا من ذات مصيرهم جزاء عدم التناهي عن المنكر، **وطرف** يرى ألا جدوى من الحوار، وأن الفريق الأول لن يجدي معه في ضوء سيرة أمم سابقة نصح ومصيره الهلاك. وموضوع الحوار من وجهة نظر المتمثلين للمنهج الإلهي هو: العدوان على الثروة البحرية بالمخالفة لأمر الله تعالى وبالتحايل عليه، وغايتهم هي النهي عن العدو في السبت، الذي يشمل الاعتداء والتهيئة له، والتحذير من عاقبته، والإعذار إلى الله فيما لو أصر المخالفون على موقفهم[viii]. فلقد كانت الحيتان تأتي يوم السبت ملهمة بأنها في مأمن من الصيد ، ولا تأتي في غيره من الأيام، وذلك من باب الابتلاء، فتعدوا وأخذوها في السبت، بأن أعدوا الحياض لاحتجازها، ثم أخذها يوم الأحد. وتمثل الابتلاء والاختبار لهم في أن الحلال لا يأتي إلا قوتا، والحرام يأتي جزافا، وكانت العاقبة هي نجاة من نهوا ،وهلاك من عصوا وأصروا على المعصية، ومن وافقهم على فعلهم، وبقي مصير من لم يعصوا ولم ينهوا عن المنكر مختلفا عليه، مع ترجيح هلاكهم.

ويمدنا هذا النموذج **بأربعة مباديء مهمة، أولها:** وجوب سد الذرائع. **وثانيها:** وجوب نهي أهل الفساد ومجانبتهم. و**ثالثها:** الوعي بأن الإصرار على المعاصي يؤدي إلى المسخ، فالمسخ لم يقع إلا بعد خروج المخالفة من حيز السهو والنسيان إلى حد الإصرار رغم التذكرة. **ورابعها:** أن سنة الله في الأمم المبدلة لنعمة الله كفرا هي تقطيعها في الأرض، فضلا عن تدني نوعية ذريتهم بأن يقلدوا فساد آبائهم، ويلقوا بالكتاب الذي ورثوه وراء ظهورهم، ويخالفوه عن علم وقصد، ويشتد النهم الدنيوي بهم فيستحلوا المكاسب الخبيثة، ويزعمون أنهم سيغفر لهم، رغم إصرارهم على عدم التوبة، فيصيرون قوما يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خشية من الله ، إن قصروا قالوا ستبلغ، وإن أساؤا قالوا سيغفر لنا ، ويغدوا إمساكهم بالعهد شبيها بإمساك الغرابيل بالماء .

ويرتبط هذا النموذج بانسلاخ فريق من داخل الصف المسلم، عن آيات الله، فيلحق بهم الشيطان فيكونون من الغاوين، فيخلدون إلى الأرض ويتبعون أهواءهم، ويصير علمهم على ألسنتهم وليس في قلوبهم، ويكون حجة عليهم، ويصير هؤلاء مع غير أولياء الله، إن وُعِظوا ضلوا، وإن تُركوا ضلوا، مماثلين في الطبع للكلاب تقع على من لم يخفها، إن حُمل عليها نبحت وولت هاربة، وإن تركها شدت عليه ونبحت، ثم إنهم مثلها يهدأ غضبهم وتشترى ذممهم بنيل عرض خسيس، وهذا النمط شديد الخطر على المناعة الحضارية، ويمثل خبالا يجب الخوف منه على غيره، والحذر من قبول حجته[ix].

وينبهنا هذا النموذج بقوة إلى أن الحوار بين فرقاء أمة الإجابة المعني بالتناهي عن المنكر المفعول شرط بقاء، فهو إن لم ينجح في إقناع المخالف بالعودة إلى الحق، فإنه يكفل جعل سنن الإهلاك الإلهي للظالم بحسبان لا يتخطاه إلى غيره.

ب) نموذج موسى وهارون في الحوار مع فرعون والملأ: يكشف هذا النموذج عن ضرورة تمثل الطرف المسلم في الحوار للمباديء **التالية:**

(١) **التزام الصدق في التقويم الذاتي:** يصرح موسى لدى تلقي التكليف من ربه بأنه: يخشى تكذيب فرعون له، وعدم قدرته على التزام اللين، فهو من واقع المعايشة لفرعون يعي الصورة الإدراكية له ويستشرف سلوكه، ويتوقع إمكانية عجزه عن إمكانية الحجة، ويخشى أن يقتلوه. وهو لا يهرب من التكليف، بل سعى لدعم قدرته على القيام به بالتعاون مع من يرى أن لديه قابليات أفضل منه، فهارون أفصح منه، وهو بعكسه، ليس في رقبته دم بحق آل فرعون.

(٢) **سنة الله في تبديل الأمم:** مع أن الله تعالى استجاب لجانب من دعوة موسى بإرسال هارون معه، فإنه بين زيف ما أثاره من مخاوف، بالنسبة للذاهبين لمحاورة غيرهم بآيات الله، لكون الله معهم يسمع ويرى، والآيات جاءت على يد موسى، وليس على يد هارون؛ وأن الآيات المعززة، وكذا البلاغة، لم تغيرا ما بنفس الطرف المُحَاوِر المصر، وإنما أسفرتا عن نشأة

نواة لأمة إجابة ثابتة اليقين، وقاد إلى تفعيل سنة كونية هي: هلاك المتكبرين، ووراثة المستضعفين الأرض من بعدهم.

(٣) **التماثل بين مضمون الحوار ومضمون كلمة السواء:** فموسى طولب بأن يبلغ فرعون أنه هو وأخاه (هارون) رسولا رب العالمين، ويدعواه بقول لين بموجب ذلك ليتوقف عن اضطهاد طائفة من الخاضعين لحكمه وعن استعبادهم. فجوهر الرسالات السماوية الدعوة إلى التوحيد والعدل، و التحول من الظلم إلى التقوى، أو الإنذار بسنة الله تعالى في الظالمين، وهذا الجوهر مطابق تماما لكلمة السواء التي يأمر الإسلام اتباعه إلى دعوة أهل الكتاب إليها.

(٤) **الإقرار بما يصح من مقولات الطرف غير المسلم:** لم يجد موسى غضاضة من تأكيد ما واجهه به فرعون من ارتكابه جناية قتل، لكنه بيّن له أن هذا كان على سبيل الخطأ وليس التعمد، وكان قبل أن يوحى إليه، وفي ذلك اعتراف بالخطأ من جهة، وبيان لحقيقة أن ما يعصم منه هو تلقي المنهج الإلهي.

(٥) **إمكانية إبداء الطرف غير المسلم قدرا مذهلاً من قبول مقارعة الحجة بالحجة، والتحول الجذري عن ذلك عند ثبوت قوة كلمة الحق:** المتدبر في نموذج الحوار الذي دار بين فرعون وموسى في كافة مراحله السابقة على إعلان السحرة الإيمان بالله تعالى، يجد أن النموذج الفرعوني كان أكثر ديموقراطية وقبولاً لمحاورة المعارضة المغايرة له تماما في الرؤية الكلية،

من أي نظام غربي معاصر، فلقد استمع– قبل أن يصل إلى يقين قاطع بتهافت حجته– إلى طرح موسى لمسألة التوحيد، واهتم بتشكيك من حوله فيها،وهدده بالسجن. ولكنه استجاب للبديل الذي طرحه موسى، وهو تقديم الحجة، على أن يكون ذلك بمشهد من الجماهير، وأشار الملأ عليه بإرجاء البت في الأمر. أكثر من ذلك، فإنه ترك لموسي أمر تحديد موعد مقارعة الحجة بالحجة، واشترط على نفسه أن تكون هناك مساواة بين الطرفين المتحاججين، وأن تتولى الدولة حشد الناس في توقيت مبكر، وفي يوم عيد كما طلب موسي، وجمع أفضل ما بمصر من الخبراء (السحرة) في موضوع نوعية البينة التي قدمها موسى كما تصورها. واستجاب لطلبهم – المكافأة– لو كلل مسعاهم بالنجاح.

وقد تحول فرعون إلى التشكيك في خبرائه واتهامهم بالتواطؤ مع موسي لما تبين له أن حجة موسى هي الحق، وأنه على باطل، ولم تخف تلك التهديدات من بات لديهم يقين بالبينات المنزلة من عند الله ،بل أعلنوا بحسم ثباتهم على الإيمان، وبينوا لفرعون أنه لا يملك من أمرهم شيئا يذكر أيا كان الأذى الذي يتوعدهم به، بعد أن تحرروا بالإيمان من العبودية للبشر، ودخلوا تحت مظلة العبودية لله تعالى[x].

ج) نموذج مؤمن آل فرعون في الحوار مع فرعون وقومه: هذا النموذج منبثق من سابقه ومكمل له. غير أن أهميته تنبع من أن المحاور فيه مؤمن عادي، يتحول من الإسرار إلى العلانية في الدفاع بمنهج الله عن نبي الله موسى،

ويفكك حجة قومه ويدحضها، ويبين لهم طريق الرشاد، ومآل من يتنكبه. ويبدأ النموذج بطرح موسى ما أرسل به من دعوة وبينة على فرعون وملئه، وينتهي وفرعون وحاشيته في النار يتحاجون.

وتتمثل حلقات الحوار هنا في رد فرعون وهامان وقارون على البينات التي جاء بها موسى بوصفها سحر وكذب، ويحدث نوع من الاختلاف بين فرعون وملئه حول الرد المناسب. هو يرى أن الحل تصفية موسى جسديا مع التصريح بالاستهزاء من مقولة مساندة رب موسى له، وهم يرون أن الأوّلى استهداف من يؤمنون به بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، ويتفوه فرعون بالكلمة التي يقولها كل طاغية وهي: وصف نفسه بالمصلح، ووصف المصلح الحق بأنه مفسد، ويعلن موسى اعتصامه بالله تعالى من كيد فرعون ومن كيد كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وهنا يتحول مؤمن آل فرعون من مؤمن يكتم إيمانه، إلى مؤمن يعلنه ويدافع عنه وعن المُرّسَل ويدعو إليه، و ينبري مدافعا عن موسى ورسالته بسبل عديدة، تشمل: النصيحة، الإقناع، التخويف. ويشير إلى عدم استقامة قتل رجل بسبب عقيدته، خاصة وأنه عرض بينات أسلم له بها كثيرون. ثم يطرح أسوأ الإحتمالات، وهي أنه إن كان كاذبا، فإن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، وفي هذه الحالة سيتحمل تبعة كذبه، وإن كان صادقا فسيأتيهم بعض ما يعدهم به من الخير، بقدر اتباعهم له، ويحذرهم من بأس

الله الذي لا راد له، ويذكرهم بإمكانية أن يؤدي صلفهم إلى ضياع ما هم فيه من ملك وسلطان.

إلا أن فرعون يخرج من هذا البيان كله، بتقرير أن ما يراه هو الصواب، وهو سبيل الرشاد، وهنا يحذرهم المؤمن من السوابق التاريخية لسقوط الأمم بالبغي كعقوبة دنيوية. ثم يخوفهم من عقوبة أشد في الآخرة، ويذكرهم بإسرافهم في الكذب حيث كذبوا يوسف من قبل، ثم زعموا بعد موته أنه لن يُرسل من بعده رسول، ثم ها هو موسي يُرسل إليهم، وهذه هي المرة الوحيدة في القرآن الكريم التي تضمنت تذكيرا للمصريين برسالة يوسف عليه السلام .

وواصل فرعون جحوده للحجة، ولكنه تظاهر بأنه منصف وسيبحث عن دليل على صدق موسى، وطرح خيارا ماديا ساذجا تعمية على العامة، واستهزاء بموسى، ومواصلة للتشكيك في رسالته، وهنا دعا المؤمن قومه صراحة إلى الإيمان مبينا أن التوحيد نجاة، والشرك دعوة إلى النار، ومتاع الدنيا إلى زوال، والسنن الإلهية ستفعل ما أنذرهم به بجزاء عادل من جنس العمل، وسيذكرون مقالته تلك في يوم لا يستطيعون فيه دفع بأس الله، ثم فوض أمره إلى الله، وكان المآل هو: حماية الله له من سيئات ما مكروا، ولحاق العذاب بفرعون وملئه في الدنيا، ثم في الآخرة، حيث اجتمع الطغاة وأتباعهم من الإمعات معا في النار.

د) نموذج مدين: الحوار في هذ النموذج بين طرفين، **أولهما** : شعيب عليه السلام ومن آمنوا معه، **والثاني:** نوعان من قومه، هما: الملأ الذين استكبروا، والملأ الذين كفروا، وبين الطرفين جدلية دائمة، بيّن القرآن معالمها في أربعة مواضع هى: (الأعراف: ٨٥ – ٩٣، هود: ٨٤ –٩٤، الشعراء: ١٧٦–١٩١ ، العنكبوت: ٣٦–٤٣)، لا تتوقف إلا بمآل الطرف الثاني إلى الهلاك، والأول إلى التمكين والرضا الإلهي.

وتتجلى معالم الرشد في الحوارفي هذا النموذج فيما يلي:

(١) **تقديم البينة وطريق التغيير الرشيد:** يقوم الحوار الكاشف عن نموذج العمران الراشد وطريق التغيير من الضلال إلى الاستقامة، كما بينه شعيب عليه السلام على:

(أ) **المثابرة على الدعوة إلى التوحيد** الخالص بما يترتب عليه من تقوى الله، و رجاء اليوم الآخر (الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، الشعراء: ١٧٧–١٨٤، العنكبوت:٣٦).

(ب) **الكياسة في الانفتاح على الآخر:** يتأسس هذا النوع من الانفتاح على **ركائز ثلاث: إقامة** الحجة على وجوب طاعةالرسل، **وقوف** رسالة الرسل عند حد البلاغ المبين، **التذكير** بعاقبة استقامة على صراط الله تعالى، وعاقبة الزيغ عنه. ويبين شعيب فى هذا المقام صراحة وضمناً أن أولى الناس بطاعة غيرهم لهم هم رسل الله؛ لكونهم لا يسألون الناس أجرا، فأجرهم على ربهم (الشعراء:١٧٨–١٨٠)، فهو رسول أمين، طاعته جزء

لا يتجزأ من تقوى الله، وهــذه الطاعة ليست نابعــة من كونه حفيظاً عليهم، بل من كونه مبلغاً عن ربه، فهى طاعة تابعة لطاعة الله، ونابعة منها ومحكومة بها، وهو لا يريد مقابلاً من قومه على ما يسديه إليهم من هدى ورشاد، جاء ليبلغهم به بأمر ربه، فأجره على رب العالمــين، وهــو مــن جهة أخرى يستحضر أُخوته لهم اليقينية، لا بوصفه هــو لنفســه بها، بل بوصف الله تعالى له بها. والأخ لا يؤمن- ناهيك عن أن يكون على خُلق النبوة- إلا إذا أحب لإخوانه ما يحب لنفسه، ثم إنه يناديهم بعبارة : "ياقوم" سبع مرات (الأعراف:٨٥، هود:٨٤، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٣)، وفوق ذلك، لم يجرد الله تعالى الملأ الذين استكبروا، والذين كفروا ممن أُرسل فيهم شعيب من صفة كونهم من "قومه" (الأعراف: ٨٨،٩١)، ولآصرة القربى حق معلوم، وهو فوق هذا كله مبلغ لرسالات ربه وناصح أمين، لايفرض إرادته على أحد، وأمره وأمرهم مفوض إلى رب العالمين.

ويدعو شعيب قومــه إلى اتباع البينة التى جاء تهم على يديه من عند الله تعالى، فهو رسول أمين، على بينة من ربه، غنى بما رزقه الله وحده دون سواه، مريد للإصلاح قدر استطاعته، ملتزم بما يدعــو غيره إليه، مقر بأن توفيقه ليس من عند نفسه بل من عند ربه، وهــم أحرار مسؤولــون عــن اختيارهــم، إن هــم أجابــوا داعــى الله وآمنــوا بما جــاء به،

أوكانت الأخرى، وعصوا رسول ربهم، فهو يقرر أنه غيرمسؤول عن مصيرهم بعد البلاغ المبين لرسالات الله تعالى وإسداء النصح لهم.

(٢) **الدعوة للتخلية:** يدعو شعيب قومه إلى التخلص من منكرات وجدهم عليها، وينبههم إلى سوء عاقبتهم إن هم لم يقلعوا عنها، سُنّة إلهية فى كل الأمم حين تصر على الظلم والاستكبار والإفساد فى الأرض، ويأخذ شعيب على قومه **ست موبقات** متشابكة ينهاهم عنها.

ومـــن آداب النبوة ،والتزام القول اللين في الحوار، أنه لم يرمهم بها، بل أوردها بأسلوب النهي الذى لاغضاضة فى أن يخاطب به الصالح والطالح على حد سواء، أساس يستحيل السعي على طريق مكارم الأخلاق دون تحصيله، وهذه الموبقات هى: **بخس** الناس أشياءهم، و**الإفساد** فى الأرض بعد إصلاحها، **والقعود** بكل صراط لتهديد الأبرياء، **والصد** عن سبيل الله، **وإرادة** العوج، و**التلاعب** بالموازين والمكاييل، **والتطفيف** فيها.

(٣) **بيان قاعدتي: منع التزاحم والتراحم:** هاتان القاعدتان هما أساس الوزن الصحيح لمن معه التوحيد في مقابل من بضاعته الزخرف، فالذات البشرية الفردية والجماعية الموحِدَة يتطابق قولها مع فعلها بإفراد الله تعالى بالعبادة، وضبط العلاقة بين الإنسان وكل المخلوقات من الأحياء والجمادات، وكل مستويات العمران الإنسانى بشرع الله تعالى، وقاعدة التوحيد لديها هى: انعدام التزاحم، أما قاعدة العلاقات بين البشر وكل ما

سخره الله لهم لعمارة الأرض، والخلافة فيها، فهى التراحم لإقامة الحياة الطيبة. والعدو الأساسى لهاتين القاعدتين هو الشيطان، وينبغى اتخاذه عدواً، وذكرالله الدائم هو سلاح تلك الذات البشرية فى تدارك الغفلة، والنسيان، والجهالة، العارضة، ووسوسة شياطين الإنس والجن ،والنفس الأمارة بالسوء.

(٤) **وعي الذات المسلمة بقيمتها الحقيقية المستمدة من إسلامها:** نواة التحلي بمكارم الأخلاق هي: اليقين بأن ما عنـــد البشر ينفد، وما عند الله باق ،والإحساس، من ثم بالغنى بالله، والافتقار إليه دون سواه، بما يترتب على ذلك من غنى نابع من التعفف مهما كان ضيق ذات اليد، واكتفاءً بالطيب الحلال –وإن قل– عن الخبيث وإن بدا كثيراً.

والذات المسلمة تعي قيمتها وغناها النابع من استقامة علاقتها بالله، وبالتالي استقامة علاقتها بنفسها وبكل ما في الكون. ولنستمع إلى شعيب وهو يذكر نعمة الله عليه، فقومه في أمَسِّ الحاجة إلى ما عنده من هدى إلهي. أما هو فإنه يرفل فى الرزق الحسن الذى منحه الله له، ويتطلع إلى أجره الطيب المبارك من الله تعالى، يقول شعيب فيما أورده القرآن الكريم عنه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود :٨٨)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾(الشعراء:١٨٠)، وأمتنا في أمس

الحاجة اليوم إلى مراجعة مفهومي التقدم والتخلف في ضوء هذا المبدأ، لتعرف –على وجه صحيح– قيمتها حين تتمثل ما بحوزتها بالمقارنة بما عند الآخر.

(٥) **الحلال أبقى وإن قل:** يوجه شعيب قومه إلى حقيقة أن الحلال القليل فى ظاهره، أبقى من الحرام، وينبههم إلى أن النعم التى أنعم الله عليهم بها تكفيهم، ولن تدوم إلا بشكر الله عليها بالإصلاح ونبذ الفساد، وأن ما عند الله خير وأبقى (هود:٨٤–٨٦، الأعراف:٨٥).

ويرشدهم إلى أن السعى الإنسانى المشكور لايقف عند حد التخلص من كل منكر، بل يقتضي التنافس فى الخيرات، بالسعي إلى المعروف، وهنا يأتى أمر شعيب لقومه إلى: **توفية** الكيل والميزان، **الوزن** بالقسطاس المستقيم، **تقوى** الله تعالى، **طاعة** الرسل، **رجاء** اليوم الآخر، **احترام** الحرية الدينية، مع **الصبر** حتى يحكم الله بين من آمنوا ومن لم يؤمنوا، **استغفار** الله والتوبة إليه (الأعراف:٨٥،٨٧، هود:٨٥، هود:٩٠، الشعراء: ١٧٨–١٨٢، العنكبوت:٣٦).

(٦) **الثبات على دين الله وحسن المآب:** يبين نموذج مدين فشل المستكبرين والكفار، رغم تنوع وجسامة الضغوط التى مارسوها، على أمل النيل من ثبات المؤمنين بالله على دينهم، وانتهاء المعركة بين الحق والباطل بنصرة الحق، وزوال الباطل فى نهاية كل جولة بينهما على مدى التاريخ.

(٧) **كلمة التقوى ملزمة ،وكلمة السواء مرجوة:** من اللافت للنظر، أن شعيباً لم يعقب على تهديد قومه له وأتباعه بالطرد من مدين، فهم قد يستطيعون في جولة ما أن يفعلوا، ولكون كلمة السواء التي يسعى لتحقيقها معهم تتوقف على قبولهم لها ، فإنها تظل مرجوة، ويظل مقابلة الدعوة إليها بالعدوان واردا. أما من الناحية المتعلقة بالتزام كلمة التقوى، فقد بين شعيب بكل قوة استحالة عودته هو ومن آمن معه إلى ملة الكفر، والتطفيف، وابتغاء العوج، والصد عن سبيل الله، فكلمة التقوى اختيار للأمة المسلمة لايقوى أحد على منعهم عنها، والله تعالى مريدهم بقدر تمسكهم بها. فشعيب لا يستند فى التدليل على قدرته هو وأتباعه على الثبات على دين الله على حولهم وقوتهم، وإنما على مشيئة الله تعالى في الوجود كله، ويتحدى قومه- بكل صراحة هنا- أن سيروا على طريقتكم ،وسأسير على طريقتي حتى يفصل الله بيننا (الأعراف :٨٨-٨٩).

ومن الأمور ذات الدلالة، أن النص الذي يؤكد على خروج شعيب ومن معه من هذه المواجهة بالحسنى وزيادة، يأتي مرة واحدة فى شطر آية في المواضع القرآنية الأربعة المبينة للنموذج محل هذه الدراسة، مع إرجاعه، لا لفعلهم ،بل لرحمة الله تعالى بهم، التى هي أصـــل هدايتهم، وأساس تمكنهم من الثبات عليها، فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ

جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(هود :٩٤). ثم إن هذا النموذج يبين أن الكلمة الأخيرة هي لمن استمد المنهج من الله تعالى.

وفي المقابل تتجلى معالم **النهج البشري الضال** المبدد للعمران ولإمكانية التزكية، كما يكشف عنها سلوك الرافضين لرسالة شعيب من المستكبرين والكافرين من أهل مدين، **فيما يلي**:

أ) **السير على نهج الآباء دون تمحيص:** لا يعقد من يتبنون هذا النهج أية مقارنة سوية بين سلوكيات الآباء ومآلاتها،وبين ما يدعوهم إليه رسل الله تعالى، فهم أعداء لفكرة المراجعة والتغيير نحو الأفضل، وفى ظل الرغبة فى الجمود، نجدهم فى هذا النموذج يستنكرون دعوة من يحثهم على مراجعة ما اتخذه آباؤهم ديناً لهم، وبعبارة بليغة تصور الآباء بعد موتهم على أنهم لايزالون يواصلون عبادة ما عبدوه من دون الله، فلنتأمل فى قولهم لنبيهم: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾(هود:٨٧)، فهم يستنكرون استجابة شعيب نفسه لدين يأمره بأن يدعوهم إلى ترك دين يتمسكون هم وآباؤهم به فى حياتهم وبعد مماتهم، بدليل صيغة المضارع فى الفعل (يعبد)، وهم بذلك لايصادرون على إمكانية التصحيح فقط ،بل ينكرون شرعية أي دين بخلاف ما كان عليه آباؤهم.

ب) **أدعياء حرية التصرف والمشيئة المطلقة:** لا يسلم أصحاب هذا النهج بأن ثمة إرادة تعلو إرادتهم فى الوجود، ولا يعترفون بحرية لغيرهم،

إلا فى سياق حريتهم هم، فالمال مالهم يفعلون به ما يشاؤون، والقرية قريتهم، يتصرفون فيها وفى أهلها كما يحلو لهم، وكل من يعارضهم تُصادر حريته، وتنتفي الشرعية عن أقواله وأفعاله، ويستحق النكال والخسران، ويوصم بالكذب والافتراء والجهالة. وفى ظل هذه الحرية المزعومة يصير الحق مرهوناً بالقوة والقدرة على الطغيان.

فالعبرة في عرفهم ليست بقوة الحق، بل بحق القوة، وهم يرون أن لا قوة فوق قوتهم، والكل ضعيف أمامهم. ويصرحون بأن ما قد يبدونه من تسامح إنما هو من قبيل المنة لا الحق، وبأنه إن كان للعِرْق حق، فإنه ليست للحرية الدينية لمن يخالفهم أية حرمة، ويغدو من الغرابة بمكان– فى ضوء ذلك – أن يطالبهم أحد بعدم بخس الناس أشياءهم، وعدم التطفيف فى الكيل والميزان، فذاك بمنطقهم من قبيل الاعتداء غير المبرر على تلك الحرية. وفعل القوى مبرر دائما بقوته، بما فى ذلك إساءة استخدام تلك الحرية بالصد عن سبيل الله وفتنة الآخرين فى دينهم، وإخراجهم من أرضهم، والتفنن فى سبل الاعتداء عليهم (هود :٨٧،٩١، الأعراف:٨٨، ٩٠، الشعراء:١٨٥–١٨٧).

وجزاء من يجرؤ على التدخل فى حريتهم فى التصرف فى المال كما يحلو لهم ،هو السخرية منه، وكلامه – في ميزانهم– غير محدد يصعب فهم الكثيرمنه، وهو ضعيف، وبإمكانهم لولا رعايتهم لحق من بقي من رهطه على دينهم، أن يقتلوه رجماً، وهو غير أهل للتكريم من

جانبهم، وكل من يتبعه فى نهجه هذا يكون عرضة للخسارة بكل سبلها، بما فى ذلك إمكانيـــة الطرد من مدين، فهى ملك لهم، والبديل الوحيد لاستهدافهم بكل تلك العقوبات هو العودة فى ملتهم. ومن يتحـــدى تلك الملة المتوارثة كاذب، أو ساحر أومسحور، وهو فى كـــل الأحوال عاجـــز، فى تقديرهم، عن إلحاق أى ضرر بهم، وهم يتحدونه أن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان صادقاً فى دعوى نبوته.

ومن الأمور ذات الدلالة هنا أنه فـــي مقابل وصـــف الله تعالى لشعيب بأنه: أخوهم، وحرصه هو على مخاطبتهم دائماً بلفظ: ياقوم، فإن أقصى ما وصلوا إليه من أدب في محاورتهم له **مناداته باسمه مجرداً** أما هو فلم يعلن المفاصلة بينه وبينهم، إلا حينما أصروا على مصادرة حريته الدينية هو ومن آمن معه، واستهانوا بحرمة حق الله تعالى، وعلوا عليه حق من ظلوا على ملتهم من رهطه، وتحدوه طالبين منه إثبات صدقه بعذاب يقع عليهم من السماء.

ج)**الضعف التكويني العنكبوتي المستدام:** يصل البيان القرآني من نموذج مدين إلى تقرير بوار النهج العمراني المغاير لدين الله تعالى في كل حلقاته، من بدايته حتى زواله. فالسنة الكونية الثابتة التي يؤكد القرآن الكريم عليها فى ختام الموضع القرآني الرابع والأخير المبين لنموذج مدين محل هذه الإطلالة السريعة والأولية هي: **عنكبوتية كل نماذج العمران الضالة،** حيث يختتم هذا النموذج بإشارة إلى عاقبة الظلم في

سيرة كل الأمم، بقــول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (**العنكبوت: ٤١-٤٣**).

ويشير القانون الرباني الذي تقرره هذه الآيات إلى **ثابت** بالغ الأهمية له أركان ثلاثة، **أولها:** ضعف من يركن من البشر إلى غير الله، فالبشر ضعفاء فى ذاتهم كالعنكبوت. **وثانيها** أن: كل الأولياء من غير الله إنما تتشكل قوتهم الموهومة من استنزاف إنسانية من يركنون إليهم، تماماً كما تشكل العنكبوت بيتها من خيوط تفرزها، تجئ هي الأخرى منتجة لبيت واهن عاجز عن حمايتها. والحق أن كل ما عدا الله سراب. و**ثالثها** أن: هذه الحقيقة على بساطتها البدهية لا يستطيع الإمساك بها إلا : العالمون، والداء الأزلي للبشرية إذاً هو الوقوع في فخ الضعف المركب، والدواء هو: العلم.

د) **التقاعس عن الاعتبار بسيرة الأمم السابقة، وتواتر سوء المنقلب:** تبين عاقبة الملأ من قوم شعيب أنهم أصروا على موقفهم، ولم يعتبروا بخبرة الأمم السابقة، بما فيها الأمة القريبة العهد بهم. فهم أضافوا إلى نسيان نعمة الله عليهم اختبارهم بالسعة فى الرزق، وعدم التدبر فى سنة الله تعالى الثابتة فى مآل المفسدين.

ويؤكد هذا النموذج أن ما حدث لقوم شعيب يمثل قانوناً إلهياً سرمدياً بالنسبة لأية أمة تفعل فعلهم. وفضلاً عن ذلك فإن الإفساد المركب فى الأرض يستوجب تعدد العقوبة. فقوم شعيب أصيبوا بالرجفة، والصيحة ،وعذاب يوم الظلة، ومقتضى العدل الإلهي أن تصاب كل أمة بذنبها، وعاقبة المفسدين واحدة متواترة، مع تنوع شكل العقوبة وفق نوعية الفساد المرتكب (العنكبوت:٣٨-٤٠).

وينبه القرآن الكريم هنا إلى وحدة سبب هلاك الأمم وهو:ظلم الأمم لنفسها، المستدعي لعدل الله فيهم، وحلول اللعنة عليهم وإبعادهم من رحمة الله التي وسعت في الأصل كل شئ (الأعراف:٩١-٩٢، هود:٩٤-٩٥، العنكبوت:٣٧)، فالتكذيب والإهلاك ستة كونية متواترة[xi].

المبحث الرابع: القبلة الكلية لعملية الحوار في السياق القرآني:

خلاصة قراءتنا لنموذج عملية الحوار في المنظور القرآني التي رصدناها من روافد ثلاثة حتى الآن: نموذجها الكائن سورة الكهف في سياقيه المباشر والقريب، ثم في السياق نظائره القرآنية، أن ثابت تلك العملية يتمثل في **المجادلة** بين: من يظنون أن البر في إتيان البيوت من ظهورها، ومن يوقنون أن البر هو تحري إتيان البيوت من أبوابها المصحوب بتقوى الله ، وأصحاب الظن الأول يحسبون أنهم يحسنون صنعا بالتبييت، والتلفيق، والتعاون على الإثم والعدوان، وجر عملية الحوار إلى سبل مفرقة عن سبيل الله، والغرق في الزبد والسراب. أما أصحاب اليقين المقابل فيرونها سبيلا للتعاون على البر والتقوى، وبحثا بالتي هي

أحسن عن الجوهر، وعن الإستمساك بالعروة الوثقى، وبلوغ حسن المآل في الدارين.

وبذا يغدو سؤالنا ونحن نتحسس مفاتيح تجنب الحوار المبني على الظن، ودخول ساحة الحوار المبني على الدفع بالتي هي أحسن في مواجهته وتخليته، والتحليتة بإقامة نموذج أسوة حسنة تقام به الحجة البالغة هو: كيف نقرأ باسم الله ؟وما هي التضاريس الرئيسة لخريطة التخلية والتحلية في إعداد العدة لعملية الحوار مع أمة الدعوة، ولحسن الأداء فيها؟. فلنعد إلى النموذج الرئيس في هذه الدراسة نتعرف منه على صبغة هذه القراءة وكنهها، والتعرف بنظرة خاطفة على الفرقان المميز لها عن غيرها من القراءات الضالة، والتعرف على الثمرة المرجوة منها، وعلى العقبات التي تقف في طريق مريدها، وكيفية التغلب عليها، توطئة للتمكن في المحور الأخير من هذه الدراسة للتعرف على خريطة التخلية والتحلية المؤهلة لوفاء أمة الإجابة بشرط الله فيها، وبرسالتها في عملية الحوار مع أمة الدعوة .

أولاً: مفاتيح القراءة باسم الله: يكشف نموذج حوار صاحب الجنتين وصاحبه عن قراءتين تتبع عن كل منهما منظومة رؤية للعمران ولآفاقه المكانية والزمانية، **الأولى:** قراءة تعضية ومفاصلة بين الكون والوحي، تقف بالحياة عند حدود الزمان والمكان الدنيويين، ولا تتخطاهما إلا بمجرد الظن وبالمعايرة بالهوى. **والثانية:** جامعة تكشف عن أفق عمراني متجاوز للحياة الدنيا، إلى فضاء الآخرة اللا زماني، والمتناهي في الاتساع، تقوم على الجمع بين قراءة الآيات والبصائر الكونية بناظم هو شرع الله تعالى المنزل، ويتمكن معتمد الجمع بين آيات الكون وآيات الوحي من النظر إلى الكون

على أنه عطاء رباني غير مجذوذ ، يربو ويزدهر بنظمه بنور البصائر المنزلة، ويخرج بتلك القراءة من ضيق القراءة المحدودة القاصرة إلى رحاب قراءة مؤهلة للوصال بإحسان مع كل نعم الله في الكون، وهو من جهة أخرى يتحصن ضد منظومة قراءة التعضية الانتقائية والمفاصلة بين آيات الكون وآيات الوحي.

وتؤشر مضامين نظرية الحوار في المنظور القرآني التي رصدناها حتى الآن، أن الحوار عملية تتدافع في الإعداد لها وفي ممارستها وفي موضوعها وفي مآلها نوعيتين من القراءة، **أولاهما:** قراءة باسم الهوى تقوم على التزيين والغواية وزخرف القول. و**الثانية:** قراءة باسم الله تقوم على إعمال البصر والبصيرة في آيات الكون بناظم قرآني، متمثلة لمفهوم الحرية التوحيدية بركنيها: التخلية، والتحلية من جهة، وللتحصين الذاتي ضد القابلية للانحراف بزخرف القول. والحوار– وفق منظور تلك القراءة – ساحة ابتلاء متبادل بالإغراء والغواية من جهة، وبالنصيحة والرشد من جهة أخرى، وتعي هذه القراءة أمرين، أولهما أن القرآن مضروب فيه من كل مثل، وأن العنصر الإنساني الذي تدور عملية الحوار بين فرقاء منه، هو المتصدر في الجدل بين كافة الكائنات.

والوقوف على المعمار الكلي لتلك المثلات لازم للتأهل الذاتي لحوار عمراني حقيقي، من موقع التمكين، بتخليص الذات المسلمة بكافة تكويناتها ومستوياتها، مما يجب تخليصها منه، وتحليتها من بعد بما يجب تحليتها به، حتى تصير بسعيها أمة واحدة بمثابة قرآن يمشي على الأرض، تقيم بشرع الله جنة على الأرض بالمواصفات المبينة لها في القرآن قدر

استطاعتها البشرية، للدخول في حوار من موقع اليقين التوحيدي والتمكين، لا من موقع الاستلاب والوهن والإعجاب بالزخرف والإمعية، واتباع سنن ثبت أنها أهلكت من قبلها. غير أن تلك الوضعية ليست معطى تكويني، بل هي واجب تكليفي يلزم السعي المتواصل إليه ما بقيت الحياة على هذه الأرض، فلا محل لحوار مصلح أو مقيم للحجة على الآخر، ما لم يسبقه ويصاحبه صلاح ذاتي وجهاد بالقرآن داخل الصف الإسلامي ذاته الذي تتباين تكويناته في درجة تمثلها لمتطلبات التخلية والتحلية الموافقة لشرع الله تعالى.

ويمكن في ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة القول بأن للقراءة باسم الله **مفتاح وحيد** هو: وحدة القبلة، تتفرع منه **ثلاثة مفاتيح تابعة** هي: إتيان البيوت من أبوابها، والتزام كلمة التقوى، والدعوة إلى كلمة سواء.

فلقد جمعت آيات سورة البقرة (١٤٢-١٦٠)، بين التأكيد على التزام البيت الحرام قبلة وبين وسطية أمة الإجابة وشهادتها على الناس، ونفي حجة منصف من البشر عليها، وفي الأمر الرباني بتولية الوجوه شطر المسجد الحرام أمر بالتزام كلمة التقوى، وفي الدعوة إلى التسابق في الخيرات بعد تقرير أن البشر لن يجتمعوا أبدا على قبلة واحدة، ولا على وجهة واحدة دعوة لكلمة سواء. وفي السياق ذاته يأتي بالتصريح، لا بتلميح النهي عن إتيان البيوت من ظهورها، والأمر بإتيان البيوت من أبوابها، والبيان التفصيلي للبر الحقيقي في ميزان الله تعالى.

ويتضح العمق الحقيق للأمر بإتيان البيوت من أبوابها في تسفيه المصروفين عن الجوهر الساعين لصرف غيرهم عنه، والأمر بالتزام الوسطية،

والتحذير من اتباع الهوى، والتركيز على التسابق في الخيرات، وتعدي معرفة الحكم إلى معرفة الحكمة والأسوة الحسنة في العمل به، ودعوة الآخرين إليها، والاشتغال بصنوف البر عن الانشغال بالجدل بغير علم وباستنباط الشبهات، والحذر من مجاراة الضالين والانقلاب بها من حجة للدين الحق إلى حجة عليه، وتجنب كتمان العلم بالتحريف والتأويل، وكتمان الشهادة، والرجوع عن ذلك من قريب طمعا في الوعد الرباني بالتوبة على من يقلع عن كتمان العلم والشهادة، ويصلح ويتوب ويبين ما لديه من علم صحيح.

ويعلل القرآن الأمر بالشد بالنواجذ على مبدأ وحدة القبلة بكونه سبيل نفي حجة أمة الدعوة على أمة الإجابة، باستثناء الظالمين من عناصرها ،مع النهي عن خشيتهم، والأمر بالخوف من الله وحده، مع وعد بإتمام النعمة والهداية، وبيان لأسباب حيازة الأمن، وهي: الأسوة الحسنة بالنبي، وذكر الله وشكره، وتجنب كفران نعمه، والاستعانة بالصبر والصلاة، والقراءة الصحيحة لعاقبة التعامل مع البلاء بمنهج الله ووفق شرعه.

ومقتضى وحدة القبلة والمفاتيح الثلاثة المتفرعة عنها هو: ضرورة تجاوز أمة الإجابة واجب تقديم البيان لفرقاء أمة الدعوة المتفرقة بهم السبل، والمتعددي القِبلات والوجهات، إن هم سألوهم عما لديهم من العلم، إلى السعي إلى دعوتهم إلى ما لديها من العلم والحكمة وموجبات التزكية والعمران، هي مطالبة بتعبير آخر بالبلاغ المبين المبادر، وليس برد الفعل، فالقرآن الكريم لم يكتف بالوعيد على الكتمان، بل أمر ببيان هداه للناس، وبالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فشكر النعمة

على المعروف من أركان العمران، وكفر نعمة الله بتركها وعدم استعمالها فيما خلقت له، أو بعدم ملاحظة أنها من فضله ، سبب للشقاء، وعدم شكر الناس وتقدير أعمالهم حق قدرها سواء كان نفعها موجها إلينا أو لغيرنا مفسدة لكونه مدعاة لتزهيد جل البشر في صنع المعروف[xii] .

ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن فاتحة كتاب الله تعالى التي يلزم كل مسلم بالغ سن التكليف –لا بل يندب لكل مسلم بلغ السابعة من العمر– أن يقرأها في كل ركعة من صلاته ، حيثما كان متوجها شطر المسجد الحرام، تتضمن ذلك المفتاح الرئيس، والمفاتيح الثلاثة التابعة له، فهي تستهل بالتوحيد برد كل حمد على نعمة إلى الله، فهو سبحانه مصدر كل ما في الكون من نعم: الخلق، والإيجاد، والتربية، والنماء، ثم يأتي الوعد بالرحمة، والإحسان، مع الوعيد بالتنبيه إلى الحساب يوم الدين، وإلى عاقبة السير على الصراط المستقيم مقابل الانحراف عنه. ويتبين أن مخ العبادة هو إفراد الله بها، وأن تكون لها روح مع الاستعانة بها على الهداية إلى الصراط المستقبم، ويرد أصل القصص القرآني والعبرة فيه متضمناً في صراط المنعم عليهم، مقابل الضالين والمغضوب عليهم، والمؤمن فيها عابد حر مختار يحمد ربه، ويقر بعبادته ويطلب العون منه، ويحسن الانتقاء بأن يطلب منه الهداية لصراط المنعم عليهم، وتجنيبه برحمته سبل الضالين والمغضوب عليهم.

والهداية إلى الصراط المستقيم على أربعة أنواع: **هداية الإلهام الفطري** للإنسان من لحظة مولده، **وهداية الحواس والمشاعر** التي يشترك فيها الإنسان والحيوان وقد يتفوق الأخير فيها، **وهداية العقل** الذي يصحح به

الإنسان الخطأ في إدراك الحواس، **وهداية الدين** التي يصحح بها الخطأ في كافة الهدايات السابقة، والهداية بكل أنواعها سالفة الذكر تضع الإنسان المحصل لها على بداية طريق هداية الله له إلى الصراط المستقيم، الكفيلة بتحقيق الفهم الصحيح للدين، والاستعانة به على وزن كل شيء به، ولا يتحقق السير على تلك الصراط إلا بإفراد الله بالعبادة والاستعانة به، والأسوة الحسنة بعباد الله الصالحين، والسير في الأرض والتعرف على سنن الله في العمران.

وتبين فاتحة الكتاب أن أصل دين الله واحد، ومن هنا تأتي دعوة الإسلام إلى كلمة سواء تقوم على ذلك الأصل: الإيمان بالله ورسله واليوم الاخر، وتجنب الشر والتزام البر، وبناء العلاقات على السنن، وتحري جلب المنافع ودرء المفاسد، والنأي بالنفس عن الشبهات وعن الضلال، بدرجاتهما **الأربعة: بلوغ** رسالة الله على نحو لا يسوق إلى التدبر فيها، و**قضاء** العمر في النظر دون التوفيق إلى العمل بشرع الله، **والانسلاخ** عن شرع الله بعد العلم به واتباع الهوى، وتفريق الدين، والتحول إلى شيع، **والوقوع** في ضلال تحريف الكلم عن مواضعه[xiii].

ومن أهم ثمار القراءة باسم الله تحصين الإنسان ضد الإغراق في الإفراز الذهني المنفصل عن الواقع المحاكي لنموذج التفكير اليوناني القديم ،وضد الإغراق في التجريب الحسي المتعامي عن الغاية والقبلة السائد في العصر الحديث. و بهذه القراءة يتحرر الإنسان المؤمن، ويملك مفاتيح التحرير لمن يقبل نصيحته من استبداد الإحساس بالاستغناء المفضي إلى الطغيان، ومن رفض ما تؤيده شهادة الوحي المنزل، ومن الحرمان من قراءة تؤتي أكلها

كل حين بإذن ربها بالنظر في الآيات وربطها وتفكيك الباطل بناظم رباني رأسي ثابت وكلي[xiv].

والسؤال المهم الواجب الطرح هنا: ما هي العقبات التي قد تقف في وجه هذه القراءة الجامعة؟ وما السبيل لاقتحامها؟ وما هي معززاتها؟ وما السبيل إلى استحقاقها؟ فلنتلمس إجابة عن هذه الأسئلة المتشابكة **فيما يلي:**

النسيان، التذكرة، الاعتبار: ينبه القرآن، البشرية إلى وجوب استحضار عبرة أول جولة حوار في مستهل عهد الإنسان بالوجود، مع الإشارة لقابليتهم ما لم يفعلوا ذلك، للوقوع في ذات المحظور، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ (**الأعراف**: ٢٧). والنهي عن الفتنة يقتضي الحذر من زخرف القول، من خصم يعد بالشر والتكذيب للحق، ويرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، وإن كانت غايته المؤكدة هي كشف عوراتنا وزوال النعمة عنا، فإن واجبنا هو السعي لستر العورة، بطيبات وريش دنيوي، وبلباس التقوى، والتحذير هنا جلي بجعل الله تعالى الشياطين أولياء للذين لايؤمنون بالتسوية بينهم في الذهاب عن الحق، والاجتماع على مناهضته[xv]، وفي ذلك زيادة للعقوبة وبيان لموطن الخطر، وإشارة إلى وجوب عدم الاستهانة به، إذ أفضى النسيان بآدم وحواء من البداية الأولى للوقوع فريسة له.

ثانياً: التضاريس الرئيسة لخريطة التخلية والتحلية: خلاصة المعمار المعرفي الذي توصلت إليه الدراسة حتى الآن أن وحدة القبلة هي سنام منظومة التخلية والتحلية المؤسسة لكل من: **كلمة التقوى** الناظمة لأمة الإجابة،

والكلمة السواء المطلوب دعوة غير المسلمين إلى جعلها ناظمـــا للعلاقـــة بينهم وبين المسلمين. ودعونا نشير إلى غير المسلمين من الآن بمسمى أكثر دقة هو: أمة الدعوة، فكل البشر من بعد بعثة النبي الخاتم ينتمون إلى واحدة من **أمتين: أمة الإجابة** التي دخلت في الإسلام، **وأمة الدعوة** التي يظل كـــل فرد فيها مشروع مسلم حتى يدركه الموت، فلنبحث انطلاقا من هذا الخـــيط المعرفي عن تضاريس تلك الخريطة عبر قراءة منظومات ثلة من المفاهيم القرآنية المفتاحية، المبينة لما حقه الإزاحة والتخليـــة، ومـــا حقـــه التثبيـــت والتحلي به، في بناء كلمتي التقوى والسواء.

١) **مفهوم الإرادة:** تقارب هذه الدراسة هذا المفهوم من مـــدخلين، **أولهمـــا:** رصد مضامين الإرادة الإلهية، بوصفها المعيار والميزان لكلمة التقـــوى بسقفها الأسمى الذي هو في استطاعة البشر. **وثانيهمـــا:** رصـــد أنـــساق الإرادة البشرية المتقابلة، التي يندرج فريق منها في مصاف مـــا يجـــب تخليته بحكم مفارقته للإرادة المعيارية، ويندرج البعض الآخر في عدد ما يجب المثابرة على معايرته، وضبطه وتضييق الهوة بينـــه وبـــين تلـــك المعيارية بالأخذ بكافة الأسباب الممكنة قدر الاستطاعة، فنفـــصل هـــذا الإجمال .

٢) **الإرادة المعيارية:** كثر في الآونة الأخيرة ترديد عبارة **(الشعب يريد)**، وغيبت العبارة الأهم **(الله يريد)**، التي هي معيار صلاح أو فساد تلك الإرادة البشرية في الحال وفي المآل معا. ويقوم استقراؤنا لتضاريس خريطة ضبط الإرادة البشرية بالإرادة الربانية بوصفها الثابت الأهم في معايرة الحوار مع غير المسلمين، على تحليل سياقي لمادة (رود) في

القرآن الكريم، بمختلف تصريفاتها، بيان موجز لخريطة أنماط الإرادة الإلهية بالبشر، **فيما يلي:**

أ- **الله يريد:** كما وقلنا كثر في الآونة الأخيرة استخدام مقولة (الشعب يريد)، في حين غاب تسليط الضوء على ضابط تلك الإرادة الجدير بالاعتبارعلى مستويات التأسيس والفعل والمآل. وباستقصاء المواضع القرآنية التي ورد بها الفعل (يريد) منسوبا إلى الله تعالى، يمكن رصد أهم معالم الإرادة الإلهية بالبشر، التي تمثل الإرداة المعيارية من المنظور القرآني[xvi]، **فيما يلي:**

[١] ارادة اليسر، وعدم إرادة العسر: إرادة اليسر وعدم العسر بالبشرية كافة تأتي بصيغة أمر تكليفي لأمة الإجابة، بدليل لفظ (بكم، وليس لكم) تستعين في القيام به بالقرآن بما فيه من هدى للناس، ومن بينات من الهدى والفرقان، وبالأخذ بالأسباب، فالتزام إرادة اليسر ونبذ العسر أساس في ثلاثية: إكمال العدة، وتكبير الله على الهداية، وشكره، مع التمثيل بالترخيص للمسافر والمريض في الفطر، مع الوفاء في توقيت آخر تتوفر فيه الاستطاعة، ويتناغم الوفاء فيه مع اليسر (البقرة :١٨٥).

وفي هذا السياق تأتي إرادة الله تعالى بأن يبين للأمة المسلمة، ويهديها سنن الأمم السابقة بعلمه بها وحكمته في تدبير شؤون خلقه، والتوبة عليها، والتخفيف عنها مراعاة لما في الفطرة البشرية من ضعف يستوجب التخفيف والتوبة، وتحذيرها من إرادة من يتبعون الشهوات أن

تميل بشدة عن صراط الله تعالى، وعن موجبات توبتهم عليها (النساء :٢٦-٢٨).

[٢] إرادة الحرية التوحيدية المسؤولة: تقرير إطلاق فعل الله تعالى ما يشاء، جاءت مقرونة بأمور ثلاثة: **تفضيل** الله بعض الرسل على بعض، ورفع بعضهم درجات، و**التنويه** بفضله على عبده ونبيه عيسى عليه السلام، **وبيان** أن وظيفة الرسالات ومآلها، ليس تحقيق الإجماع البشري على الحق، فمشيئة الله تعالى هي أن يعبده البشر عن اختيار، والأمم اختلفت بعد تلقي البينات، وانقسمت إلى مؤمن وغير مؤمن، وعرفت الاقتتال بين الفريقين، وهذا الاختلاف إرادة إلهية، لا محيص عنها، وفي هذا تأكيد على الحرية الإنسانية المسؤولة في أمر الإيمان والكفر، وما يترتب عليها من قابلية للاختلاف والاقتتال (البقرة :٢٥٣)، يلزم الاجتهاد في التعاطي معه بما شرع الله تعالى، ويندرج في سلك هذا المبدأ إهدار نطق المؤمن المطمئن قلبه بكلمة الكفر مكرها ، بعكس المنشرح صدره بالكفر (النحل :١٠٦) .

[٣] نبذ إرادة الظلم للعالمين: يقرر الحق سبحانه أنه لايريد ظلما لأي مخلوق أيا كان، وينبه إلى أن عدة وفاء أمة الإجابة بهذا الأمر التكليفي هي: قراءة القرآن حق تلاوته، بوصفها أساس نبذ الظلم والتحصين ضد قبوله من الآخرين، وضد اقترافه بحق النفس أو الآخرين(آل عمران :١٠٨)، وتصاحب تقرير هذا

الأمر التكليفي، التذكرة بسنة الله تعالى التي لاتتبدل ولا تتغير في عاقبة الأمم التي وقعت في الظلم (غافر :٣١).

[٤] إرادة الصرف للإبتلاء والتمحيص: تؤشر خبرة أحد على أن صدق وعد الله تعالى للمؤمنين مشروط بأمرين، **أولهما:** الحركة في حدود ما أذن الله ورسوله به. **والثاني:** عدم تجاوز الحركة تلك الحدود إلى دائرة الفشل، والتنازع في الأمر، والمعصية من بعد أن تلوح بشائر ما يحبون، من جراء الانقسام بين مريدين للدنيا ومريدين للآخرة، والذهول عن سنن الابتلاء، فالصرف الإلهي عن الواجب عقب تباشير النصر الأولى يوم أحد إنما كان بغرض الابتلاء والتمحيص، وبعدم الوقوع في اليأس، والوعي بتلك السنن وذاك الشرط، يتؤهل المؤمنين بعد تمحيصهم لعفو الله وفضله (آل عمران :١٥٢).

[٥] التحصين ضد دواعي الحزن والقابلية للظلم بالشنآن: ينهى الله تعالى عن الحزن من صنيع المنافقين المسارعين في نصرة المعتدين على المسلمين، مبينا أنهم سينالون جزاءهم منه سبحانه، ولن يضروه شيئاً، ومن مقتضى أخذ الناس بالظاهر لا بحقيقة الباطن في الدنيا يتمتع هؤلاء قليلا فيها، اكتفاء بكون إرادة الله تعالى فيهم هي ألا يجعل لهم نصيبا من نعيم الآخرة (آل عمران :١٧٦) .

ومن بين شواهد غرس القرآن هذا المبدأ في نفوس المؤمنين به، الإشارة إلى أن إرادة الله تعالى تنصرف إلى معاقبة المذنبين

ممن لا يقبلون حكم الرسول بينهم بما أنزل الله ببعض (وليس بكل) ذنوبهم، ومع تلك الإشارة المهمة إلى الإحسان في العقوبة ، يأتي الأمر للنبي ولأمته من بعده **بأمر ثلاثي:** الحكم بينهم بما أنزل الله، وعدم اتباع أهوائهم، والحذر من إيقاعهم الفتنة بالأمة بلفتها عن بعض ما أنزل الله إليها (المائدة :٤٩).

[٦] إرادة التحذير من الإعجاب بالسراب: من هذا القبيل إرادة الله تعالى الواردة بصيغة أمر تكليفي لأمة الإجابة بالأخذ بالأسباب الكفيلة بعدم الوقوع في **إثم الإعجاب بنعمة الاستدراج** بكثرة المال والأولاد؛ وبناء الوعي بأن علة إرادة الله بالمبتلين بها هي: تعذيبهم بها في الدنيا بما يلقون في جمعها من مشقة، وما يصيبهم بسببها من قلق، وما يقترفون بسببها وبها من مظالم، ثم يخرجون من الدنيا بلا نصيب في الآخرة. وفي المقابل، فإن الله تعالى يوفي الجزاء على العمل بالدنيا لمن يريدها هي وزينتها دون نقص، ويعجل بما يشاء لمن يريد العاجلة (التوبة: ٥٥، ٨٥، الإسراء :١٨).

وتبين خبرة صدر الإسلام أن هذا الوعد القرآني جاء لأمة عربية مستضعفة، لا وجه للمقارنة بين نصيبها من العلم، والثروة، والسياسة، بالمقارنة بمن خرجت مهتدية بالإسلام لدعوتهم إلى دين الله، ومع ذلك فإنها استطاعت أن تعدل، وأن تصلح فساداً كبيراً في المناطق التي فتحتها بالإسلام، وتبين أنه بصلاح النفس البشرية يتحقق صلاح كل شيء، فصلاح الأرض وفسادها منوط بصلاح الإنسان وفساده، وليس بالثروة وفنون السياسة وحيازة

القوة، فالبشر يوجدون ذلك كله، وهو نابع من معين الاستعداد البشري وتابع له، ومدار تداول الأيام بين الناس على صلاح النفوس وفسادها، والبون كبير بين عمران التمكين، وعمران الاستدراج[xvii].

[V] إرادة الطبع الإلهي والختم على الحواس، وتعطيل قابليات المصرين على اجتناب شرع الله: وردت هذه العقوبة في أحد عشر موضعا قرآنيا. وتشمل تلك العقوبة: أن يطبع الله على قلوب من نقضوا المواثيق، وجحدوا آياته، وقتلوا الأنبياء عدوانا، وأعلنوا أن قلوبهم موصدة أمام بلاغ رسول الله (النساء :١٥٥). وكانت عاقبتهم: أن ختم الله على قلوبهم فلا تتدبر، وإصابتهم بالقابلية للذنوب، وتوريث الأرض أمما غيرهم بعد إهلاكهم (الأعراف:١٠٠-١٠١). وتبين الآيات أن من سنن الله تعالى في القرى استمرارها على الكفر رغم ما جاء به الرسل من الآيات والمعجزات (يونس :٧٤)، وأن الصنوف التي تقع تحت طائلة عقوبة الطبع والختم على القلب من الله تعالى تشمل: الراضين بأن يكونوا مع الخوالف (التوبة :٨٧ ، ٩٣)، ومن يجهلون (الروم :٥٩)، والمجادلين في آيات الله بغير علم، والمتكبرين الجبابرة (غافر :٣٥)، والغافلين المطبوع على قلوبهم، وأبصارهم، وأسماعهم، (النمل : ١٠٨)، والمستمعين للرسول من أجل التشكيك اتباعاً للهوى (محمد :١٦)، ومن يؤمنون بألسنتهم، ويواصلون الكفر بقلوبهم (المنافقون :٣).

[٨] إرادة تحلية أمة الإجابة: تنصرف إرادة الله تعالى بأمة الإجابة في هذا السياق بعد تخليصها من كافة صور الشرك وأدرانه، إلى تحليتها بالتوحيد الخالص، وما يترتب عليه من تحرى العدل كحد أدنى، وتحرى الإحسان كمعراج لرقي عمراني لا متناهٍ،

وتأتي هنا إرادة الله تعالى في المن على المستضعفين، وجعلهم أئمة وارثين، ويرتبط شكر التمكين بعملية تحلية من **أهم حلقاتها:** الربط بين إرادة الله المحكمة، وبين أمره للمؤمنين بالوفاء بالعقود (المائدة :١)، والربط بين إرادته سبحانه رفع الحرج عنهم، وتطهيرهم، وإتمام نعمته عليهم، وتوفير دواعي شكرهم له ، بتشريع التيمم للتطهر من الجنابة، وللصلاة عند عدم وجود الماء (المائدة :٦)، ودعوة الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (غافر :١٤)، والإحسان للوالدين جزاء على المشقة في الحمل، والوضع، والرضاعة، والتحلي بالرشد لدى بلوغ الأربعين بدعوة الله إلهام شكر نعمته وفي قمتها التوحيد، والإعانة على العمل الصالح الذي يرضاه، وصلاح الذرية، وقبول التوبة، والإقرار بإسلام الوجه له سبحانه وتعالى (الأحقاف :١٦).

ومن مقتضيات هذا التوحيد الخالص التسليم بأن مشيئة الله حاكمة لكل شيء، بما في ذلك الأسباب، ولا راد لها ولا معقب عليها، وفي هذا السياق يأتي تعبير (الله يريد) في ربط هود عليه السلام فاعلية نصحه لقومه بعلم الله فيهم. فإرادة الله حاكمة لإرادته ولإرادتهم معا، وهو ربه وربهم، ومصيرهم جميعا إليه (هود : ٣٤)، وهو فعال لما يريد

بشأن العقوبة والعفو، (هود :١٠٧)، وإدخال المؤمنين الجنة (الحج :١٤)، وهداية من يريد (الحج :١٦).

ب- **أنساق الإرادة البشرية:** الذات البشرية قابلة باستواء الفطرة التي فطرها الله عليها للتوبة والإنابة والفلاح. وهي قابلة في المقابل بابتلائها بالحرية التكليفية للغواية، والخلود إلى الأرض، واتباع الهوى، والانسلاخ عن فطرتها، والانحدار في الضلال لما هو أدنى من مرتبة الأنعام. ومن هنا يمكن التمييز بين نسقين متقابلين للإرادة البشرية، **على النحو التالي:**

(١) **نسق الإرادة الراشدة:** رشد هذا النسق نسبي، وفق مدى موافقته للإرادة الإلهية، فهو بكافة أنماطه مبني على علم جزئي لبشر غير معصومين من الخطأ، ومحدود بالاستطاعة البشرية، ولهذا النسق أنماط عديدة تلتقي معا في مجمع كلمة التقوى، **تشمل:**

أ- **إرادة المراجعة** بعد الطلاق، المشفوعة بالإصلاح والتسوية في الحقوق بين الزوجين بالمعروف، (البقرة :٢٢٨).

ب- **إرادة التغيير** المبنية على شرط الله في أمة الإجابة، والمستحضرة لسنته في الأمم وفق اتجاه تغيير ما بنفسها (الرعد :١١).

ج- **إرادة الاعتبار** بتعاقب الليل والنهار في تحقيق التذكرة والشكر لله تعالى، (الفرقان :٦٢).

د- **إرادة التوحيد الخالص** القائمة على الوعي بإطلاق المشيئة الإلهية، ونفي قدرة أي مخلوق على امساك رحمة الله، أو على منع ضر أراده، فهو سبحانه المالك للنفع والضر، المدافع عن الذين آمنوا،

الراد لكيد من يكيد لهم إلى نحره، الذي لايحيط إنس ولاجان بتدبيره شأن مخلوقاته، (الإسر اء :١٠٣، الكهف:٨٢، الأنبياء:٧٠، الصافات:٩٨، الأحزاب:١٧، يسن:٨٢، الفتح:١١، الجن:١٠، المدثر:٣١).

ه- **إرادة تنزيه الله عن الولد،** وتأكيد بشرية عيسى عليه السلام (المائدة:١٧، الزمر:٤).

و- **إرادة الإطعام لوجه الله** تعالى دون انتظار جزاء أو شكر من أحد غير الله (الإسراء: ١٨).

ز- **إرادة الإصلاح الأسري:** ربط نجاح عملية التحكيم في شقاق أسري بإرادة الإصلاح لدى الحكمين، وعلمهم بان الله مطلع على السرائر (النساء: ٣٥).

ح- **إرادة ثواب الدنيا والآخرة:** بإرادة ما عند الله، لا مع عند غيره بالعمل في الدنيا (النساء : ١٣٤).

ط- **إرادة البديل الأدنى:** إرادة يمكن للبشر -مهما كانت درجة تقواهم- الوقوع فيها، فيوم بدر أراد المؤمنون بديلا أدنى هو العير، وأراد الله تعالى لهم بديلا أسمى يحق به الحق ويقطع به دابر الكافرين (الأنفال: ٧)، ومن مقتضى الوعي بذلك تمحيص الإرادة والتحرز من القابلية للوقوع في إرادة الدنيا، في حين يرضى الله لنا إرادة الآخرة (الأنفال:٦٧)، ومن هذا القبيل يأتي بيان لماذا فرض الله تعالى القتال على الأمة؟ رغم كراهيتها له بطبعها، متبوعا ببيان قصور علم البشر بما هو خير وما هو شر، وحاجتهم في ذلك إلى

جعل حبهم وكراهيتهم موافقة لما يحبه ويكرهه الله تعالى (البقرة :٢١٦).

ي- **إرادة العزة:** يبين القرآن أن العزة لله جميعا، وتشمل مقومات إرادتها بحق: كلم طيب يصعد إلى الله تعالى، وعمل صالح يرفعه، ويتطابق به القول مع الفعل، والوعي ببوار المكر السيء، وانقلاب عاقبته على أهله (فاطر:١٠).

(٢) **نسق الإرادة الجانحة:** يشير القرآن إلى أنماط عديدة ضمن هذا النسق، **تشمل:**

أ- **إرادة بعض أهل الكتاب** أن تضل أمة الإجابة الإسلامية السبيل، وشراء الضلالة بالهدى (النساء: ٤٤).

ب- **الإرادة الشيطانية:** إرادة الشيطان تعميق النفاق والضلال البعيد لأصحابه (النساء: ٦٠)، وإرادة إيقاع العداوة والبغضاء بين البشر عبر شرور الخمر والميسر، وإرادة صد بني آدم عن ذكر الله وعن الصلاة (المائدة: ٩١).

ج- **إرادة التعضية والتفريق بين الله ورسله وكتبه:** يشير القرآن إلى صنف من البشر يريدون التفريق بين الله ورسله، ويتبنون موقفا انتقائيا في الإيمان بالرسل، ويريدون اتخاذ سبيل بين الإيمان بالله ورسله كافة، وبين الإيمان ببعضهم دون البعض الآخر (النساء:١٥٠).

د-**الإرادة المنافقة:** تشمل: **إرادة التحاكم** إلى الطاغوت رغم أمر الله تعالى بنبذ موالاته (النساء:٦٠)، **وإرادة المذبذبين** بين الرغبة في أن

يأمنوا قومهم، وأن يأمنوا المؤمنين، كثيري الوقوع في الفتنة، المأذون في حربهم، ما لم: يعتزلوا الكيد للمسلمين، ويلقوا إليهم السلم، ويكفوا أيديهم عن السعي في الإضرار بهم (النساء :٩١)، ومن سمات أصحاب هذه الإرادة أنهم يكرهون الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله، ويفرحون بالقعود، ويتحايلون لتحصيله، ويحثون غيرهم على محاكاتهم فيه (التوبة :٨١).

ه- **إرادة الخيانة:** هي أمر وارد، فمن البشر من خانوا الله تعالى من قبل، وعلامة أصحاب هذه الإرادة: كراهية ما أنزل الله، واتباع ما يسخطه، وكراهية رضوانه، والوعد سرا لمن كرهوا ما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر، إلا أن سنة الله في أصحاب تلك الإرادة هو: التمكين منهم. وعاقبة إرادة الخداع هذه كفاية الله للمؤمنين من كيد أصحابها، وتأييده لهم بنصره (الأنفال: ٦٢، ٧١) (محمد:٢٦،٩، ٢٨) .

و- **إرادة قلب الموازين:** لهذة الإرادة صور عديدة منها: رغبة الملأ في طرد من -هم وفق ظاهرهم- يدعون ربهم بالغدو والعشي يريدون وجهه، فهذا الطرد محظور في شرع الله تعالى، فأمر مطابقة السريرة للعلانية متروك لله، وكل نفس بما كسبت رهينة (الأنعام :٥٢)، وحق هؤلاء: صبر النفس معهم، وعدم صرف العين عنهم طلبا لزينة الحياة الدنيا، وعدم طاعة من أغفل الله قلبه عن ذكره، واتبع هواه وكان أمره فرطا في أمر تحديد نوعية العلاقة معهم (الكهف:٢٨)، ومن صورها أيضاً الافتتان بمثل زينة قارون

وتمني مثلها، والذهول عن حقيقة أن شرط الفلاح في الآخرة: عدم إرادة العلو في الأرض، وعدم إرادة الفساد فيها (القصص: ٧٩، ٨٣)، ومن صنوف هذا النمط أيضا من يجعلون لله ما يكرهون، ويكذبون عليه بالشرك، وبإهانة رسله وتكذيبهم والافتراء عليهم، ويزعمون أن لهم الحسنى عنده سبحانه (الرعد :٣٣) .

ز- إرادة حرث الدنيا دون اكتراث بحرث الآخرة (الشورى:٢٠) .

ح- إرادة الضرار بالمؤمنين والكيد لهم (الطور:٤٢)، وحب أن تشيع الفاحشة فيهم (النور: ١٩)، وإرادة الفجور والتمادي فيه (القيامة:٥)، وإرادة فعل قوم لوط (هود:٧٩).

ط- إرادة خرق النواميس: من ذلك تعليق بعضهم الإيمان على اصطفاء الله لهم، واتخاذهم رسلا، وإنزال كتبه عليهم (**المدثر:٥٢**)، ومنها كذلك طلب الخوارق من الرسل شرطاً للإيمان (الإسراء:٩٠-٩٣)، رغم حقيقة أن العبرة المستفادة تؤكد أن أثر الخوارق مؤقت، وأن مصيرها في الأمد الطويل هو التكذيب بها، وإخراجها عن مساقها وتحريفها عن مواضعها ، والظلم بها، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ (**الإسراء:٥٩**)، وعبرة ما آل إليه أمر المعجزات التي جاء بها عيسى وعزير- على سبيل المثال- مع تطاول العهد، وموقف كل من زكريا ومريم عليهما السلام تجاه ما بشرا به بمنأى عن السنن والأسباب العادية بالغ الدلالة في هذا الصدد.

ي- إرادة صنع الصور الإدراكية المزيفة وترويجها: من ذلك دعوى فرعون لدى قومه، أن موسى عليه السلام ساحر يريد هو وأخوه إخراجهم من أرضهم بسحره، والذهاب بطريقتهم التى لا تباريها طريقة أخرى (الأعراف: ١١٠، طه:٦٣، المؤمنون:٢٤، الشعراء:٣٥)، ومن ذلك زعم الكفار حين تتلى عليهم آيات الله، أن رسولهم: يريد أن يصدهم عما كان يعبد آباؤهم، وأن ما جاء به إفك مفترى، ويصفون الحق المنزل بأنه سحر مبين (سبأ:٤٣).

ك- الإرادة المردودة: من أنماط الإرادة المحكوم عليها بالفشل مهما تكررت الحركة بموجبها، إرادة إطفاء نور الله تعالى بالأقوال في الدنيا، فالله متم نوره رغم أنف من يريدون ذلك (التوبة:٣٢، الصف:٨)، وإرادة أصحاب النار في الآخرة الخروج منها من غم (المائدة :٣٧).

(٣) **أنساق السعي البشري:** ينقسم السعي البشري إلى منظومتين متقابلتين، **على النحو التالي:**

أ- السعي المشكور: سعي المريد للآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن (الإسراء:١٩)، وسعي الساعي لإنقاذ موسى من اعتزام فرعون وملئه قتله (طه:١٥)، وسعي مؤمن آل فرعون لدعوة قومه لاتباع الرسل (القصص:٢٠)، وسعي المؤمن المطيع لله لتلقي الهدي النبوي (عبس :٨)، والسعي الإنساني الذي يجازى به (النجم:٣٩)، ونور المؤمنين الساعي بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة (الحديد:١٢، التحريم :٨).

ب- السعي الضال: من أهم أنماطه: سعي مانعي مساجد الله ان يذكر فيه اسمه، الساعين في خرابها (البقرة:١١٤)، والسعي في الأرض من أجل الإفساد فيها، وإهلاك الحرث والنسل (البقرة:٢٠٥)، وسعي المدبر عن الإيمان الماشي في الأرض بالفساد (النازعات:٢٢)، وسعي المحاربين لله ورسوله الساعين في الأرض بالفساد (المائدة:٣٣)، وسعي البهتان ممن يتهمون الله بالبخل (المائدة:٦٤)، وسعي الساعين في القرآن بالإبطال على ظن أنهم خارج دائرة قدرة الله تعالى على الانتقام منهم (سبأ:٣٨)، وسعي الأخسرين أعمالا ممن ضل سعيهم ولكنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (الكهف:١٠٣-١٠٤).

(٤) **نسق المحبة والكراهية المعيارية:** يشمل هذا النسق منظومتين وردتا بالقرآن الكريم، متعلقتين بما يحبه الله تعالى، وما يكرهه، **على التفصيل التالي:**

أ- **منظومة (الله يحب):** تكشف هذه المنظومة المحددة لفضاء التحلية البشرية المعيارية، عن محبة الله تعالى للصنوف **البشرية التالية:**

(١) **المحسنين:** المنفقين في سبيل الله، الواعين بأن عكس ذلك إلقاء بالنسبة في التهلكة، المحسنين في ذلك الإنفاق، الثابتين على مراقي التقوى والإحسان، المتحلين بالعفو والصفح حتى عمّن لعنهم الله لنقضهم العهود، ذوي القلوب القاسية، المترددين في خبال تحريف الكلم عن مواضعه، والانتقائية في الالتزام بما أنزله الله تعالى، وتواتر

بروز الخيانة من معظمهم (البقرة :١٩٥، آل عمران:١٣٤، المائدة :١٣، ٩٣، ١٤٨).

(٢) **التوابين والمتطهرين:** المتبعين للنبي المتطهرين (البقرة:٢٢٢، آل عمران: ٣١)، التائبين المصلحين المبينين، العادلين في تنفيذ الوصية، التائبين من النفاق، العائدين من قريب بعد مقارفة السوء بجهالة إلى ظل إصلاح العمل، والاعتصام بالله وإخلاص الدين له، المصلحين ذات البين (البقرة:١٨٢،١٦٠، ٢٢٢، النساء:١٦، ن ١٤٦، المائدة:٣٩، الأنعام:٥٤، الأعراف:٣٥، ١٤٢، الأنفال:١، الأنبياء:٩٠، النور:٥، الشورى:٤٠، الأحقاف:١٥).

(٣) **العافين عن الناس:** المتحلين بفعل الخير سرا وجهرا، وبالعفو عن المسيء، المحاذرين من التخلف عن فعل ذلك، بسبب الأزواج أو الأولاد، الملتزمين بالصفح والمغفرة، وعدم نسيان الفضل بين المسلمين، حتى في حالات من قبيل إتمام إجراءات الطلاق (البقرة :٣٧ ،النساء :١٤٩ ،التغابن :١٤) .

(٤) **المتقين:** الموفين بالعهود لمن يوفون إليهم بغض النظر عن دينهم (آل عمران:٧٦، التوبة:٤، ٧).

(٥) **الصابرين:** ممن يجاهدون في سبيل الله دون الإصابة بالوهن، ولا الضعف، والخضوع للعدو (آل عمران:١٤٦).

(٦) **المقسطين:** المصلحين داخل الصف الإسلامي بين طائفتين متقاتلتين من المؤمنين، الرادين الطائفة الباغية عن بغيها إلى امر الله، العادلين في الحكم، والمعطين البر والقسط لغير المسلمين، الذين لم

يخرجوا المسلمين من ديارهم، ولم يقاتلوهم في الدين، ولم يظاهروا عليهم عدوهم، وهم أيضا الملبين لأمر الله تعالى لهم بالعدل في الحكم بين من وصفهم سبحانه بالشراهة في أكل الحرام واستماع الكذب، فالعدل يحبه الله في كل حال (المائدة:٤٢، ٥٤، الممتحنة: ٨، الحجرات: ٩).

(٧) **المقاتلين في سبيل الله** صفا كأنهم بنيان مرصوص (الصف: ٤).

(٨) **المحبين المحبوبين:** الذين هم أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، المجاهدين في سبيل الله لايخافون لوم أحد على ذلك، وهؤلاء هم الوارثون الذين وعد الله بأن يستبدل من يرتدون عن دينهم بهم (المائدة ٥٤).

ب- منظومة (الله لا يحب) و(الله يكره): تحدد هذه المنظومة برافدها المعبر عن أولاهما بالنفي، وعن الثانية بإثبات محمل بذات الدلالة، ميزان التخلية المعيارية بالنسبة للبشر، وفيما يلي رصد لأنماط كل من رافديها في القرآن الكريم:

(١) **أنماط ما لا يحبه الله:** الله تعالى لايحب:

(أ) **الفساد:** يقرر القرآن في هذا المقام أن الفساد ظهر في البر والبحر بمعاصي البشر، وفشت ظاهرة عدم النهي عن الفساد في الأمم السابقة، وانغمس الظالمون فيه ولم ينتهوا ولا يتناهوا، وطغوا بتوظيف النعم في الإجرام، وكانت سنة الله فيهم إهلاكم، ونجاة القلة التي تمسكت عن النهي والتناهي عن المنكر (القصص: ٧٧، الروم:٤١،

غافر:٢٦، الفجر:١٢)، ومن مظاهر الفساد والإفساد المنصوص عليها في القرآن الكريم: نقض العهد، وقطيعة الرحم، والإفساد بالمعاصي، والتعويق عن القيام بموجبات الإيمان (البقرة:٢٧، الرعد:٢٥، الشعراء :١٥٢) ،والجمع بين الكفر والصد عن سبيل الله (النحل:٨١)، والتلاعب في العملة والموازين والمكاييل (النمل:٤٨، هود:٨٥ العنكبوت:٣٦)، والنهب، والبغي على الجيران (الكهف:٩٤)، وعدم استخدام الملكية الخاصة وفق شرع الله (البقرة:٦٠)، والشرك بالله (آل عمران:٦١)، وإرادة العوج والقعود بالصد عن كل صراط مستقيم (الأعراف:٨٦)، والتكذيب بآيات الله (يونس:٤٠)، والسحر (يونس:٨١) ، والجحود بآيات الله رغم التيقن منها من باب الكبر والعلو والظلم (النمل:١٤)، والاستكبار في الأرض، والتمييز في المعاملة بين الرعية واستضعاف فئة منهم (القصص:٤)، وقطع السبيل، والشذوذ الجنسي، والمجاهرة بالمنكر، والتعاضد عليه (العنكبوت:٣٠).

(ب)**المفسدين:** مغلولي اليد غير المفترين على الله الكذب، الذين يزدادون طغيانا بالتمادي في نبذ القرآن، المتباغضين والمتعادين فيما بينهم، الساعين على الدوام إلى إشعال الحروب (المائدة: ٦٤)، والساعين في الأرض بالفساد، وبإهلاك الحرث والنسل، والساعين لإيقاد نار الحروب (البقرة:٢٠٦، المائدة:٦٤، القصص:٧٧)، وآكلي الربا ومن يحلونه (البقرة:٢٧٦).

(ج) **المعتدين:** المحرمين ما أحل الله من الطيبات، المتجاوزين أمره سبحانه في ذلك (البقرة:١٩٠، المائدة:٨٧، الأعراف:٥٥).

(د) **الظالمين:** باستقراء مادة (ظلم) في القرآن الكريم، يتبين أن وصف الظالم ينطبق على صنوف تشمل من يرتكب من ألذوات البشرية الفردية أو الجمعية، واحدا أو أكثر من **الأفعال التالية:** أكل المحرم، واتباع هوى فئة من البشر بعد تلقيه المنهج الرباني، والتولي عن الجهاد في سبيل الله، وادعاء مشاركة الله تعالى في الإحياء والإماتة، والكفر بعد الإيمان، وتولي غير المسلمين، وطرد الموحدين، والقعود مع من يخوضون في آيات الله، والتحليل والتحريم بغير ما أنزل الله، واستضعاف من يدعون إلى سبيل الله، والكيد لهم إلى حد التفكير في قتلهم والشماتة بهم.

ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن كراهية الله للظلم وللظالمين بلغت حد الحث على تجنب مقابلة الظلم بظلم مكافيء له، فالقرآن يعبر عن الرد على العدوان بالمثل، بلفظ منفر هو: **اعتدوا**، ويتبعه بالندب إلى العفو والإصلاح رجاء الثواب من الله تعالى، وبيان أن مداولة الله النصر والهزيمة بين الناس إنما هي لاستدراج الظالمين، واتخاذ شهداء من المؤمنين (آل عمران:٥٧، الشورى:٤٠).

(ه) **المجاهرين بالسوء** من القول رغم كونهم لم يقع عليهم ظلم (النساء: ١٤٨).

(و) **المسرفين من البشر فرداً أو جماعةً** في المأكل والمشرب وفي الصدقة، غير المثابرين على عدم الأكل إلا من ثمار ناضجة طيبة، وعلى إيتاء حقها يوم حصادها (الأنعام:١٤١).

(ز) **الخائنين للعهود:** تصل كراهية الله لهم إلى حد التشديد على التحرز من أية شبهة نقض للعهد بإلزام المسلمين بالنبذ على سواء حين تلوح أمامهم أدلة على تخطيط الطرف الآخر لنقض العهد (الأنفال:٨٨).

(ح) **الظالمين لأنفسهم:** الفرحين فرح بطر، وعلو وفساد في الأرض، وفتنة لغيرهم بما استدرجهم الله تعالى به من نعم (القصص:٧٦)، والكافرين (الروم:٤٥)، والمستكبرين (النحل:٢٣)، وكل خوان أثيم (النساء:١٠٧)، وكل خوان كفور، الخائنون لأنفسهم بمعصية الله تعالى (الحج:٣٨)، وكل مختال فخور مريد للعلو والكبرياء والفساد في الأرض، متنكب للتوحيد وللإحسان لذوي القربي في الجوار والنسب، ولإخوانه من بني آدم من البعيدين عنه في النسب أو في الجوار، ورفاقه في السفر، وفي العمل، وأزواجه وخدمه (النساء: ٣٦، الحديد:٢٣).

(٢) **منظومة التخلية بتجنب ما يكرهه الله:** تشمل منظومة التخلية التي يمكن للبشرية أخذ نصيبها منها، بتجنب ما صرح القرآن بكراهية الله تعالى له، **ما يلي :**

(أ) **التخلص من كراهية الجهاد في سبيل الله،** بالمبادرة لكل ما يأمر الله به لشمول علمه (البقرة:٢١٦)، وإرادة دينه لكونه هو

الذي يتناغم مع فطرة الكائنات كافة، ومع سننه التكوينية والتكليفية فيها (آل عمران:٨٣، فصلت:١١) .

(ب) **الانتهاء عن وراثة** النساء كرها (النساء: ١٩).

(ج) **كراهية انبعاث المنافقين المتقاعسين** عن إعداد العدة للعمل المشترك مع صالحي المؤمنين، فالله لايقبل منهم نفقة، وهم خبال في الصف: لوجود من يعيرهم آذنا مصيغة (التوبة:٤٦، ٨١،٥٣).

(د) **نبذ الإكراه في الدين بكل صوره:** لكون الإرادة الإلهية منصرفة إلى تقرير حرية العقيدة (يونس:٩٩) مع التزام التوحيد والثقة بوعد الله تعالى بإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإظهار الدين الحق على الدين كله، ولو كره المشركون (الأنفال:٨، يونس:٨٢، التوبة:٣٢ ،٣٣، الصف:٨-٩).

(ه) **الاستغفار من مساندة سالفة لسلطة ظالمة:** هذا هو ما فعله سحرة فرعون بعد تحررهم بالتوحيد من الركون الى الطغاة، ومؤازرتهم وانتظار الأجر منهم (طه:٧٣).

(و) **كراهية الكفر والفسوق والعصيان،** وجعل طاعة الله ورسوله متبوعة، وطاعة ما عداهما تابعة لها (الحجرات:٧)، وتجنب الظن السيء، والتجسس والغيبة والنميمة (الحجرات:١٢) .

(٣) **منظومة الحب البشرية:** يمكن التمييز هنا بين نسقين متقابلين للحب البشري، يتضمن كل منهم عدة أنماط من معدنه، **على النحو التالي:**

(أ) **نسق المحبة الراشدة:** يشير السياق القرآني إلى عدة أنماط تندرج ضمن هذا النسق تشمل:

(١) **الحب الأسمى:** هو النمط الذي يشمل من يكون حبهم لله ورسوله، والجهاد في سبيل الله سقفا يسمو على حب الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج والعشيرة والمال الذي بالحيازة والمال المرتقب حيازته بالتجارة، والمساكن المريحة المرضية (التوبة:٢٤).

(٢) **الحب الإبراهيمي،** القائم على مفارقة الشرك بحجة دامغة هي كراهيته له، لأن كل ما عدا الله تعالى آفل، متغير متنقل، لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولاضرا (الأنعام:٧٦).

(٣) **الحب اليوسفي** الذي بلغ في حب الاستقامة حدا صار به السجن أحب من التعرض للابتلاء بالفاحشة (يوسف:٣٣).

(٤) **الحب السليماني** الذي انبثق فيه حب الخير من حب الله تعالى، برعاية الخيل لكونها عدة الجهاد في سبيل الله (ص:٣٢).

(٥) **حب المفلحين:** المتبؤين للدار والإيمان، المحبين للمهاجرين، المعينين لهم عن طيب خاطر، المؤثرين على أنفسهم حتى مع حاجتهم إلى ما يؤثرون به غيرهم، المتحررين من شح النفس (الحشر:٩).

(ب)**نسق المحبة الضالة:** يندرج في سلكه عدة أنماط من المحبة **تشمل:**

(١) **المحبة المبنية على الزيف** مثل: إدعاء اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، المردود عليها بكونهم بشرا شأنهم شأن غيرهم من البشر، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم (المائدة:١٨).

(٢) **المحبة المحالة عن سببها الحقيقي** مثل: رؤية إخوة يوسف أن محبة الآباء لأبنائهم يجب أن تبنى على اعتبارات القوة المادية وليس على اعتبارات رعاية الأضعف والأحوج للرعاية، فالعصبة بمنطقهم أولى بالمحبة من الطفلين الصغيرين (يوسف:٣٣).

(٣) **ومحبة الأنداد من دون** الله والخضوع لهم على شاكلة الحب الواجب لله ولرسوله (البقر:١٦٥).

(٤) **حب المحمدة** بلا استحقاق: من الساعين إلى الفساد مع الزعم بأنهم مصلحون، والراغبين في أن يشكر لهم الناس فضل أعمال قام بها غيرهم، ولا دور حقيقي لهم فيها (آل عمران :١٨٨) .

(٥) **حب شيوع الفاحشة** بين المؤمنين (النور:١٩)، **وحب الغيبة** والنميمة (الحجرات:١٢).

(٦) **حب** العاجلة مع عدم العمل لليوم الثقيل (الإنسان:٢٧).

(٧) **لباس التقوى وكلمة التقوى:** يمكن بناء منظومة مفهوم لباس التقوى وكلمة التقوى عبر إنعام النظر في مادة مفهوم (التقوى) في القرآن الكريم[xviii]. ويدورمعمار محاولتنا بناء تلك المنظومة هنا على رصد ما صاحب هذا المفهوم من نواه ربانية للتخلية مما لا يتوافق معه، وما رافقه من أوامر ربانية الاستجابة لها لازمة

لتحصيله، والتنقيب عن سنامه، وعن سمات علاقته بالحرية التوحيدية، على **التفصيل التالي:**

أ- **منظومة الأوامر الربانية المصاحبة للتقوى والمؤدية إليها:** تشمل تلك المنظومة: **البر الجامع** بين أركان الإيمان والعمل الصالح ،وإنفاق المال على حبه على أصحاب الحقوق فيه، والوفاء بالعهد، والصبر في حال الفقر، وفي الجهاد في سبيل الله، **والمجيء** بالصدق والتصديق به، و**العدل** في الوصية عند حضور الموت، **والسعي إلى أن تكون** الولاية على المسجد الحرام للمتقين وليس لمن يصدون عنه، **والعدل مع المطلقات** بالوفاء بحقوقهن، **والوفاء بالعهد** لغير المسلمين، الموفين بشروط العهد، غير المتعاونين مع من يناصبون الأمة الإسلامية العداء ويستهدفونها بالعدوان، **والتزام الاستقامة** لغير المسلمين ما اسقاموا لهم، **والالتزام** بوحدة سلم المسلمين وحربهم، و**الجهاد** الملتزم بشرط المعية الإلهية وهو تقوى الله حق تقاته والتزام الإسلام حتى الموت، و**المسارعة** إلى مغفرة الله للفوز بجنة أوسع من مجمل السموات والأرض، و**حفظ** الأمانة ،و**إتيان** البيوت من أبوابها، و**حب** التطهر، **والتزام تقوى الله** في معاملة ما سخره للبشر من بهيمة الأنعام، ورعاية حرمة البشر والشجر والحيوان بالحرم، **والتعاون** على البر والتقوى، والتناجي بالبر والتقوى، و**التزود** من الحج المبرور الخالي من الرفث والفسوق والجدال المصحوب بفعل الخيرات، وتقوى الله الذي إليه المصير فهي خير الزاد، و**ستر** العورات بها فهي خير

اللباس، **والتزام كلمة التقوى**، والسعي لأن يكونوا أهلها وأحق الناس بها.

ب- منظومة النواهي الربانية المصاحبة للتقوى والمؤدية إليها: تشمل: **تحري عدم تجاوز** المعاقبة بالمثل، بل التزهيد في المثلية لما للنفس البشرية من حرمة، بتسمية العقوبة بالمثل عدوانا لصعوبة تحري العدل فيها، والندب إلى العفو عند المقدرة على الرد، وتجنب حمية الجاهلية، **والتحذير** من ظلم النفس، **ونفي العذر** عن المستطيع عند الإنسان التقاعس عن الجهاد بالمال والنفس، و**هدر** أي إذن يحصل عليه إنسان بالتزييف بظاهر دعواه، عند من يعلم سره ونجواه، **ونبذ الولاية** للظالمين إذ لا أساس لخشية ضررهم ولا لتوقع نفع يأتي من جهتهم، **والنهي عن** تزكية النفس بالهوى، وعن القيام في مساجد الضرار، وعن **التناجي** بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، **وعن التفريط** في معالم دين الله تعالى المتعلقة بشعائر الله والشهر الحرام، وعن **التعاون** على الإثم والعدوان، **والنهي عن العدوان** من منطلق البغض حتى على من يصدون عن المسجد الحرام، **والنهي عن الفواحش** والكبائر، وعن الشح، والتحذير من معايرة الفلاح بالحيازة الدنيوية وبزخرفها، وعدم التسوية بين من يطغى ويفتن غيره في الدين، وبين من يأمر بالتقوى.

ج- مراتب التقوى: للتقوى ثلاث مراتب هي: **التوقي** عن العذاب المخلد بالبراءة من الشرك، و**التجنب** لكل ما يؤثم من قول أو

فعل، و**التنزه** عن كل ما يشغل المرء عن ربه، بالتبتل ومعانقة وضعية (حق التقوى، تقوى القلوب). و القرآن هدى لكل ناظر من الناس جميعا. أما النص في فواتح البقرة على كونه هدى للمتقين فهو باعتبار كونهم المقتبسين من نوره، المحققين كمال التوقي عما يضر في الدنيا والآخرة في الحال أو في المآل.

وتشمل المنظومة القيمية لمفهوم التقوى: العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربي، واجتناب الشرك والفحشاء والمنكر والبغي والعقوق، والتورع عن الشبهات، وأداء ما فرضه الله، وهجر ما حرمه، ومحاسبة النفس بصرامة الشريك الشحيح، وتزيين السريرة لله كتزيين العلانية للخلق، والتمسك بأصول الشرائع الصحيحة كما بينها القرآن بيقيناً باليوم الآخر لا يخالطه شك ولاشبهة .

د- **تحقيق التدافع بالحسنى:** غاية الحوار المبني على كلمة التقوى تحقيق مقتضى دفع الله الناس بعضهم ببعض، الذي لا تقوم حرية دينية حقة بدونه، وتبين فواتح البقرة بجلاء أن من السنن الإلهية الثابتة، أن من البشر فريق لا يجدي فيهم بشارة ولا نذارة، يتيهون في الغي والمكابرة والمفاصلة مع منهاج العقل السوي، ومطلوب الحوار ليس الإقناع، وإنما البلاغ، فمهما كانت قوة البلاغ وسلامته، فإن فريقاً من البشر سيظلون بمنأى عن التزام الحجة البالغة وعن الاستجابة لها. ومحط التكليف لأمة الإجابة

يقف عند إبلاغهم وإنذارهم، والاعتذار إلى الله فيهم، فهذا الصنف مختوم على قلوبهم بما يمنعها عن قبول ما من شأنها أن تقبله، وهذا الختم الناتج عن التمادي في الطغيان والعناد يعطل قدرتهم السمعية، التي هي أداة تلقي الأحكام الشرعية المنزلة، كما يعطل بصرهم وبصيرتهم عن رؤية الأحوال الكونية الدالة على التوحيد، فتصاب أعينهم بغشاوة من نوع خارج ما تعارف عليه البشر، وهي غشاوة التعامي عن آيات الله.

وتشير فواتح البقرة كذلك إلى صنف آخر هو المنافقين، يضمون إلى الإصرار على الكفر والعناد سوء الطوية، ومخالفة ظاهرهم لسريرتهم. ولما كان أصل مفهوم (الناس) من الإيناس والظهور والحركة، فإن صفات هذا الصنف مجافية لصفات الإنسان، فهم يدعون الإيمان ويدسون فيه عقائد فاسدة، لمرض في قلوبهم غير ما تعارف عليه الناس من الأمراض، يؤدي إلى زيادة كفرهم، وإلى الريبة في قلوبهم، وإلى التزامهم سبيل الكذب والخداع والمداهنة، ومن أفاعيلهم: الإفساد في الأرض بالإرجاف وبنشر أسرار المسلمين لعدوهم، وإغراء عدوهم بهم، مع ادعاء أنهم مصلحون، ونفي أي شبهة يثيرها غيرهم ضدهم، والزعم أنها من باب الحسد، وإنكار ما يتهمون به من النفاق، والوصول في السفاهة إلى حد التزييف، وتبرير ما يتظاهرون به من صلاح في الظاهر، لشياطينهم في لقاءاتهم السرية بأنه استهزاء بالإسلام وأهله، بما يجلب عليهم فضح الله تعالى أسرارهم، ومدهم في

غيهم، وتواتر فتنتهم، وسوء منقلبهم، وترديهم في ظلمات مركبة [xix].

ومن الثوابت التي يجب الوعي بها، وإعداد العدة للحوار مع غير المسلمين على هدى منها، في ضوء هذه التركيبة للمكون البشري لأمة الإجابة، ولأمة الدعوة، **ما يلي:**

(١) **عمل غير المسلمين مزين لهم:** يحدد القرآن الأخسرين أعمالاً بأنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (**الكهف:١٠٤**)، ويبني القرآن وعي أمة الإجابة بأن عمل غير المسلمين مزين لهم (**الأنعام:١٢٥**)، بتشبيهه للكافر النافر من الإيمان، وثقله عليه بصورة من يكلف بما لايطيقه، فهو يجمع بين تصعيد لمستوى لا يطاق، وبين ضيق الصدرالمبعد عن التدبر والفهم، وحرج الإثم، والرجس، وهو النتن، وما لا خير فيه واللعنة في الدنيا والآخرة[xx]، وعمله بالتالي يحتاج إلى تفكيكه وتعريته بلطف وكياسة، وخير سبيل لتعريته هو الأخذ بأسباب استعادة السبق العمراني للمسلمين.

(٢) **الدور السلبي للملأ:** خص القرآن الرؤساء في كل بنية عمرانية بمسمى: أكابر مجرميها، لكونهم الأقدر على الفساد، والمكر، والحيلة في مخالفة الاستقامة والصرف عنها، مع النعي عليهم لجهلهم بأن وبال مكرهم السيء عائد عليهم، سُنّة من سنن الله تعالى في الكون[xxi].

(٣) **التعويل على السنن والزهد في المعجزات:** السنن الإلهية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل أجدى في الأمد البعيد من الخوارق، التي قد لا تجدي مع صنوف من البشر، وقد تفضي إلى عكس ما جاءت من أجله، وتقرر آيات سورة الأنعام أنه لا يؤمن إلا من شاء الله له الهداية، وعلم أزلا أنه سيهتدي حتى لو أجيب المعاندون لكل ما يطلبونه من معجزات.

(٤) **بضاعة شياطين الإنس والجن هي الزخرف الزائف:** العدو نوعان: ظاهر وخفي، يوسوس الثاني للأول، وما يقدمه بعضهم لبعض مجرد تمويه يزينه؛ ليغريه به رغم كونه باطلا. وكل منهم ينقل خبرته في تضليل الآخرين لصاحبه، وبهذا الزيف المموه يقوم أولياؤهم بمجادلة المسلمين، وهذا القول المزخرف المزين يغتر سامعه من الجهلة به ويصغى إليه بقلبه، ويقترف المنكر بناء عليه، وينتقل أتباعهم من الإنصات لهم إلى القبول ثم إلى العمل به[xxii]. وأخطر ما يمكن أن يتعرض له المسلم، الكذب المغلف في ظاهره بتقوى التقي وعفة العفيف.

وفي ختام الآية (١١٢) من الأنعام يستبطن الأمر بتركهم وما يفترون معنى التهديد من فعلهم، والأمر باتخاذ الإجراءات الكفيلة بالتحصن ضد القابلية للتأثر به، وتفكيكه بالاستعانة بما نصت عليه الآيات في هذا السياق في قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن

فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ (الأنعام: ١١٥– ١١٦)، ففي ما أنزل الله تعالى في القرآن غنى كفانا به مؤنة سؤال من يضلون بعلم أو بغير علم.

(٥) **إحباط مساعي الجر إلى حوار رمادي أوبقري:** تكشف نماذج عديدة للحوار بين الأنبياء وغير المسلمين من أقوامهم عن مسعى لخلط الأوراق، ومن نماذج هذا المسعى، والرد الأمثل عليه رد إبراهيم عليه السلام على من تصور أنه يحيي ويميت، ببينة أثبتت بوار مقولته من أقرب طريق (البقرة: ٢٥٨)، ورد موسى عليه السلام على أصحاب التفكير البقري، الذين واجهوا أمرًا بلغ إليهم عن ربهم على لسان نبيهم، بإثارة إمكانية أن يكون من باب الهزل، ثم راحوا يسألون عن اللون وعن الماهية، وينفذون الأمر في النهاية على مضض، وينسون درسه بسرعة ويعودون أضل مما كانوا عليه قبله (البقرة:٦٧–٧٤). فأمة الإجابة مطالبة بالاجتهاد في البلاغ، بحيث يحيا من امتثل للحجة البالغة عن بينة، ويهلك من جحدها عن بينة (الأنفال:٤٢).

(٦) **التواضع في طلب الحقيقة:** من المسلم به أن فوق كل ذي علم عليم. وخبرة حكم داود وسليمان في الحرث، وتفهيم الله تعالى سليمان، وتسليم أبيه بصواب رأيه والنزول عليه، دليل على وجوب التكافل في البحث عن الصواب، وابتغاء الوصول إليه بصرف النظر عمن يتجلى بواسطته. ومن صور التكافل في إعداد الدليل، وإقامة الحجة صنيع سليمان مع جنوده في

الحوار الذي انتهى بدخول ملكة سبأ في دين الله (الأنبياء:٧٨-٧٩، النمل: ٣٨-٤٤).

(٧) **إفساح المجال أمام الطرف المحاور لطرح حجته بحرية، والصفح عنه والإعراض عمّا تضمّنه من مخالفة لدين الله:** من الركائز التي يتأسس عليها هذا المبدأ حقيقة إفساح الحق سبحانه وتعالى المجال لإبليس؛ لطرح حجته في رفضه طاعة الله في السجود لآدم، والاستجابة لطلبه الإمهال إلى يوم الدين، فالحرية الدينية لا تتحقق إلا بذلك (الحجر:٣٧-٤٠) .

(٨) **تحقيق شرط تجنب العنت:** شرط تجنب العنت هو أن تجعل أمة الإجابة طاعة النبي(صلى الله عليه وسلم) متبوعة، وطاعة غيره من البشر- بما فيهم طاعتهم لأنفسهم- تابعة لها، فذاك علامة رسوخ الإيمان في القلوب، وكراهية الكفر والفسوق والعصيان، ومن علامات ذلك الرشد: تجنب الكلام والفعل غير القائم على بينة، لتحاشي إلحاق أذى بأبرياء يجلب الإحساس بالندم بعد التبين، واجتناب التجسس، والغيبة، والنميمة، والسخرية، والتنابذ بالألقاب، وسوء الظن، واقتصار النجوى على ثلاثة: الأمر بصدقة، أو بمعروف، إو بإصلاح بين الناس، ومراعاة حق الأخوة بين المؤمنين بإصلاح ذات البين، والإصلاح بين المتقاتلين، وحمل الباغي على الفيئة إلى الحق ،والإصلاح بعد الفيئة بالعدل (النساء:١١٤، الحجرات:٦-١٢).

(٩) **التزام البر في معاملة غير المسلمين المسالمين:** تبين آيات الممتحنة أن على المؤمنين أن يستحضروا رفض نبيهم عشية الرجوع من الطائف وقوع عقاب بمن آذوه، رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يوحده، فإمكانية تبدل العلاقة بين المسلمين ومن عادوهم إلى علاقة مودة أمر قائم، ومن جهة أخرى، فإن الله تعالى يدعو أمة الإجابة إلى التمييز في معاملة غير المسلمين، فهم ليسوا سواء، ولا إكراه في الدين، وحق من لم يقاتلهم في الدين، ولم يشردهم: البر والقسط، ولا يجوز مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن. أما من فعلوا بهم ذلك ومن أعانوهم عليه فمحظور موالاتهم، ثم إن القوامة لله والشهادة بالقسط والعدل حتى مع الأعداء فريضة، (البقرة:٢٥٦، الأنعام:١٠٨، المائدة:٨، العنكبوت:٤٦، الممتحنة:٧-٩).

ه- **سنام التحلي بالتقوى:** اقتصر النص الصريح على معية الله تعالى مع المتقين على ثلاثة موضوعات بالقرآن الكريم :**تحري** عدم تخطي حد العقوبة بالمثل، و**تحري** وحدة الصف الإسلامي، بحيث تكون حرب الأمة الإسلامية واحدة، وسلمها واحد في مواجهة كل من يجتمعون على العدوان عليها، **وربط** الإذن بقتال غير المسلمين والغلظة عليهم، بتقوى الله فيهم (البقرة :١٩٤،التوبة :٣٦، ١٢٣).

و- **سمات العلاقة بين التقوى والحرية التوحيدية:** من اللافت للنظر في استقراء مادة مفهوم التقوى في القرآن الكريم، أن

منظومة الجزاء تُعلِي شأن الحرية الدينية، وتنفي سلطان البشر على بعضهم بعضاً في مضمارها، فالجزاء كله على ملازمة التقوى أو الارتكاس في نقيضها متروك لله تعالى في الدارين، وحتى المعاقبة بالمثل –كما بينا آنفا– مسموح به عند حده الأدنى وبشروط، مع الندب إلى العفو عن المقدرة، بل إلى الإحسان .

وفي مقابل منظومة حقوق المتقين وواجباتهم في القرآن الكريم، تقتصر منظومة الجزاء المفصح عنها على بيان أن عاقبة المتقين الجنة، وعاقبة الكافرين النار، وربط توفية كل فريق عمله يوم الدين بعلم الله بالسرائر، وتقريب الجنة للمتقين، وفوزهم بحسن الثناء في الدنيا والآخرة، وبالفلاح والنعيم المقيم، وتحصيل انتفاء الخوف والحزن، والإنباء بأن شرط التحاب بين الأخلاء في الآخرة هو التقوى في الدنيا، وأن العداء المتبادل هو سمة العلاقة بين من تآخوا على المعصية في الدنيا. ومن الأهمية بمكان التدبر في عمق عبارة (عند الله) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (الحجرات:١٣)، وربطها بدعوة إبراهيم برزق دنيوي لمن آمن، ورد الله عليها، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ ﴾(البقرة١٢٦)، فمن حق التقوى عدم التمييز بين البشر بسبب

العقيدة وحدها مراعاة لمبدأ نفي الإكراه في الدين، ووجوب حصر السعي في تبيين الرشد من الغي.

وتمثل مراعاة المتقين لمبدأ عدم الإكراه في الدين في مواجهة غيرهم التزاما مبدئيا من طرف واحد، لاعلاقة له بسلوك غير المسلمين تجاههم، وهم في المقابل مكلفون بإعداد القوة المانعة لغيرهم من فتنتهم في الدين، وهذه القوة المانعة ليست مجرد القوة العسكرية، فهم يجاهدون بالقرآن جهادا كبيرا. وهم يجاهدون بالسعي في الأرض، والسير فيها، والتعرف على سنن الله تعالى في الكون، وامتلاك أسباب العزة، وإتباع كل سبب بسبب، والتزهيد في الخوارق، والتعويل على السنن، وعلى الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله بعد استنفاد الأسباب فيما تعجز الأسباب عنه، وإتيان البيوت من أبوابها، والتوحيد الخالص في التقوى، فالله هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

ودون الدخول في تفصيلات لايتسع لها المقام، تكفي الإشارة إلى ورود مادة (التقوى) مبينة في مستهل سورة البقرة، ارتبط ببيان أنها ليست حالة يتم الوصول إليها، بل هي عملية صيرورة دائبة تحتاج إلى دليل عمل ومنهج قرآني. فالقرآن بيان للناس كافة، وهو هدى من الضلالة، وموعظة للمتقين، والعقوبات الربانية نكال: عبرة مانعة للأمم من فعل المعاصي لدى وقوعها في المستقبل، وهي موعظة للمتقين لتحقق انتفاعهم بها ،ومسارعتهم إلى مغفرة من ربهم .

ومن بين مؤشرات بناء كلمة التقوى على الحرية التوحيدية المسؤولة:

(١) **التأكيد على حرية العقيدة:** يلح القرآن الكريم على تحديد وظيفة الرسل– وبالتالي المبلغين عنهم من بعدهم– بالبلاغ المبين، وليس بحفظ أعمال المرسل إليهم، ولا مراقبتهم، ولا الوكالة عليهم، فالله تعالى لو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعا، ولكنه شاء أن يُعْبَد عن اختيار، وتصل آيات سورة الأنعام في تقرير هذا المبدأ إلى حد النهي عن سب المشركين، لأنهم يحمون لدينهم ويتعصبون له ويدافعون عنه بكل الطرق بما فيها سب الله تعالى فيما لوسب المسلمون آلهتهم[xxiii].

(٢) **النهي عن الخشية المرزولة، والأمر بالخشية المحمودة:** تأكيدا لحرية الإنسان وتحريره من العبودية لغير الله، يثني القرآن الكريم على المتقين المتصفين بالإشفاق من خشية الله تعالى (المؤمنون:٧٧)، والخشية التي يصير بها القرآن تذكرة للعبد، وخشية من يتذكر (طه:٣ ،الأعلى:١٠)، وخشية العلماء لله تعالى (فاطر:٢٨)، وخشية المعتبر بمصير الطغاة (النازعات:٢٦). وينهى في المقابل، عن صنوف من الخشية تشمل: التدني في الخشية من الله تعالى إلى حد يماثل الحجارة في الصلابة أويفوقها (البقرة:٧٤)، والخوف من الناس بدرجة الخوف من الله أو أكثر (النساء:٧٧)، وقتل الأولاد خشية الفقر (الإسراء:٣١)، وخشية مجاهدة غلاة المعتدين (التوبة:١٣)، وخشية المسارعين في موالاة المعتدين مخافة أن تدور الدائرة على المسلمين (التوبة:٥٢) .

ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن مادة (خشي) في القرآن ارتبطت رعاية لمبدأ عدم الإكراه في الدين، وحفظاً لحمى الحرية التوحيدية بأمرين، **أولهما:** التزام القول اللين في البلاغ حتى مع أمثال فرعون، لكون اللين يرجى معه نفع الموعظة، ويرجى معه الخشية (طه:٤٤)، و**الثاني:** بيان أن الله تعالى لم يجعل خزائن رحمته بيد أحد من البشر، درءا لإمكانية بخلهم بها، وخشيتهم بقصور علمهم من نفادها (الإسراء:١٠٠)، تزهيدا في الاتكال على البشر مهما كان بحوزتهم من قدرات.

(٣) **الدعوة إلى استباق الخيرات:** بعد أن بينت آيات سورة البقرة أنه مهما كانت قوة الحجة التي تقدمها الأمة الإسلامية لأهل الكتاب فإنهم لن يتبعوا قبلتها، بل لن يلتقوا على قبلة واحدة فيما بينهم، شفعت الإشارة إلى تعدد الوجهات بالأمر باستباق الخيرات، لإزهاق الباطل، والتزام المسلمين قبلتهم بكل مضامينها، نفيا لإمكانية أن يكون لغير الظالمين من الناس حجة عليهم، مع الأمر الإلهي بعدم الخشية منهم، بل خشية الله وحده، بوصفها شرط تحصيل إتمام نعمة الله عليهم وهدايتهم[xxiv]. وفي ذات السياق يأتي تنبيه ابن آدم لأخيه لما هم بقتله، لمجرد أن الله تعالى تقبل منه قربانه، إلا أن شرط قبول العمل هو التقوى.

وخلاصة دين الله تعالى التي على المتقين أن يبينوها لغيرهم ردًا على سؤالهم عن الإسلام ضمن هذا التسابق في الخيرات، هو البرهنة **بلسان المقال وبلسان الحال** على أنه في كلمة قرآنية

واحدة **(خير)**، فللمحسنين حسنة في هذه الحياة الدنيا، والخير الأكبر لهم في الدار الآخرة، وذروة الخير دار المتقين في الدنيا والآخرة، ولا يخفى أن هذا كله تكليف رباني للمتقين بأن تتجسد هذه الرباعية، في واقعهم المعاش، حتى يكونوا حجة لدينهم، لا حجة عليه .

ومع نفي التسوية بين المؤمنين العاملين الصالحات المتقين، وبين الفُجّار المفسدين في الأر ض الفجار (ص:٢٨)، يأتي التصريح القرآني بنفي عدم استطاعة الفريق الأخير اختيار التقوى باختياراً حراً مسؤولاً، ودحض زعمهم بأن عدم الهدى قدر إلهي (الزخرف:٢٠)، ويأتي النفي في المقابل لإمكانية استطاعة أي إنسان على هدى من ربه أن يهدي من يحب إن هو أصر على الضلال (القصص:٥٦)، وتشير فاتحة الكتاب بجلاء إلى المغايرة بين المنعم عليهم المشهورين بالاستقامة وبين المتصفين بأضداد صفاتهم، وهم: مطلق المغضوب عليهم والضالين. وبتلك المغايرة يجمع المسلمون بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان بالله ورسله، ونعمة السلامة من: الغضب والضلال. والهدى المتعدي هو التوجيه الموصل، ولازمه هو التوجه الموصل، فالهدي يعتبر فيه التوجه عن علم إلى ما من شأنه الإيصال إلى البغية. والتوجه إلى الهدى قد يكون على درجة من **اثنتين:** التوجه للثبات على الهدى، والتوجه إلى زيادة الهدى، وهدى المهتدي فعل مستقل صادر عنه باختياره، وهو متمايز عن التعليم الذي هو إلقاء المباديء العلمية على المتعلم، وسوقها إلى ذهنه بالتدريج على ترتيب

يقتضيه حاله، بحيث لا يساق إلى بعضه إلا بعد تحصيل مقدماته. فالهدى فعل اختياري يستقل به فاعله، ولا دخل للهداية فيه غير كونها داعية إلى إيجاده عن اختيار، ومن هنا فإن سبب تخلف التعلم عن التعليم قد يكون بسبب قصور التعليم. أما تخلف الهدى عن الهداية فهو بسب الاختيار، وليس بسبب قصور فيها[xxv].

(٤) **الكلمة السواء: يقول الله تعالى :** ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (آل عمران:٦٤)، والعرب يسمون كل قصة لها شرح كلمة، ودعوة طرف لآخر إلى السواء تعني: الدعوة إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه، وقيل للنصف (سواء)؛لأنه أعدل الأمور وأفضلها وأوسطها[xxvi].

فأمة الإجابة مطالبة بدعوة أهل الكتاب إلى المجيء والإرتقاء إلى مستوى الكلمة العادلة والمنصفة بين الجانبين، التي اجتمع عليها كل الأنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، وهي خاصة بالفريقين على قدم المساواة ، التزاما بكلمة التقوى، وإفراد الله بالعبادة وعدم طاعة مخلوق في معصية الخالق، وقوامها عبادة الله، ونبذ الإشراك به، والتخلي عن استعباد أحد، وعن قبول العبودية لأحد من البشر. وبينت الآية الكريمة أنه في حال رفضهم كلمة ليست بهذا التحديد، فإن على أمة الإجابة، إشهادهم على التزامها بالإسلام، وانقيادها لأحكامه، ليست متخذة

غير الله ربا، وغير قابلة تحريم بشر لما أحل الله ولا تحريمهم لما احل الله[xxvii].

ومن الملاحظ أن الآية الكريمة لم تقل (أن لا تعبدوا إلا الله ولاتشركوا به شيئا)، بل جاءت بصيغة تعني بجلاء إلزام المسلمين أنفسهم بالتوحيد في علاقتهم بأهل الكتاب، الأمر الذي يعني عدم تدخلهم في حريتنا الدينية وتوحيدنا، وهو من جهة أخرى، إلتزام من طرف واحد ضامن بذاته لحريتهم الدينية، ومن مقتضاه أن لانتبع أحدا في تحليل أو تحريم شيء مما احله الله وحرمه، ونبذ الاستحسان المجرد عن سند شرعي، فلا نحن نشرع لهم في أمور عقيدتهم، ولا نحن نقبل تشريعهم لنا فيها. فأصل لفظ الأرباب هو إنزالهم أحبارهم منزلة ربهم في قبولهم تحريمهم ما لم يحرمه الله، وتحليلهم ما لم يحله الله.

ويتضمن الأمر بالدعوة إلى كلمة سواء دعوة لكل أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن أقبلوا وتفاعلوا. ومن السوابق المعيارية لبناء كلمة سواء بين المسلمين وأهل الكتاب، ما تم بين الرسول – عليه السلام– وبين وفد نجران لما رفضوا القصص الحق المؤكد لبشرية عيسى –عليه السلام– وأبوا إلا الجدال والخصومة، وانخذلوا عن الملاعنة، عندها دعاهم عليه السلام إلى النصفة وقطع عنهم الحجة، وتمت الموادعة بين الجانبين، مع بقائهم على دينهم، ووصل إقرارهم بعدل المسلمين رغم ذلك إلى حد طلبهم

من النبي إرسال رجل من أصحابه، يرضاه لهم ليحكم بينهم في أشياء اختلفوا فيها من أموالهم[xxviii].

والأمر الرباني الصادر إلى أمة الإجابة بإشهاد من يرفضون من أمة الدعوة لكلمة السواء التي تدعوهم إليها، على أنها معتصمة بإسلامها ثابتة عليه، مفهوم قرآني عميق يقتضي تحولهم إلى قرآن يمشي على الأرض بما ينفي حجة غيرهم عليهم، ويحقق البراءة من أية شبهات تنال صفاء العقيدة، إلى حد شهادة عدوها لها بذلك[xxix].

ولا يخفى أن هذا الإشهاد يحتاج من الأمة إلى الوفاء بشرط الله فيه بالتزام كلمة التقوى قولا وعملا، وتحقق وسطيتها، وتكون بفعلها خير أمة أخرجت للناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجسيد التوحيد الخالص في واقعها، وامتلاك أسباب القوة الكفيلة بمنع غيرها من فتنتها في دينها، ولعل هذا المعنى باستحضار قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ (البقرة: ١٢٠).

الخاتمة:

من المفارقات التي لا بد من مسها في ختام هذه الدراسة التي أطمح أن تكون نواة لنظرية للحوار مستقاة من مرجعية قرآنية، أن الكثير من الأدبيات التي دبجتها الجماعة العلمية المسلمة، بعد مبادرة خاتمي تلك، انطلقت من أرضية معرفية غربية صراحة أو ضمنا، أو بالأحرى من منطق الدولة القومية، ولم تحفر معرفيا في معالجتها لظاهرة الحوار عبر الجملة القرآنية، كما لم تحاول غزل خيوط لها من القرآن، ناهيك عن استعمال المنوال القرآني في نسج لباس تقوى يواري سوآتنا.

بتعبير آخر، لم يعد الطرف المسلم الداعي إلى الحوار العدة له المصبوغة بصبغته وهويته وبصمته الحضارية. ولم يسبق الدعوة، ولم يرافقها تجلية لماهية الحوار، والرؤية المعرفية التي ينطلق منها، وموضوعه، والغاية منه، ومردوده المرتقب في ضوء الخبر ة المستفادة من السير في الأرض، والوعي بسنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير في التمكين للأمم، وإهلاكها، وإعداد الطرف الممثل لأمة الإجابة فيه، والتحديد المخطط لكيفية تعزيزه، وتقويمه فيما لو رؤي اعواجاج في أدائه، ولم تطرح نظرية: دفع الله الناس بعضهم بعض، المعبر عنها في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾(البقرة٢٥١)، وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج٤٠)، في مقابل نظريات الصراع ونهاية التاريخ، ومن هنا جاءت النتيجة مخزية، ولا يتسع المقام للتدليل التفصيلي على ما ذهبت إليه هنا، بعد أن

تجاوزت الدراسة ضعف الحد الأقصى المتاح لها من منظمي المؤتمر من جهة، والتركيز على ما هو أهم، وهو الوقوف على عتبة التأسيس لنظرية قرآنية للحوار بين المسلمين وغير المسلمين. فقط أشير على نحو خاطف إلى ما اعتور تعاطي الطرف الإسلامي من آثار جحر الضب والقابلية للإعجاب بالزخرف، على رجاء إقناع الجماعة المعرفية الإسلامية بإنشاء مركز بحوث الأمة الذي يتفرغ لبناء نظرية التدافع الحضاري، ويؤسس لاستعادة كلمة التقوى بإخضاع تراثنا لها، وبتحريك حاضرنا بها، ورؤية مستقبلنا على ضوئها .

فأطروحة صاحب المبادرة بالدعوة لحوار الحضارات مفارقة من نقطة الانطلاق فيها لميزان الحوار من أرضية قرآنية؛ فهي تقوم على أن للحوار **ثلاث ركائز مترابطة:** الكلام بكل صوره، والإنصات إليه وفهمه، وكل طرف فيه ينظر إلى الآخر من منظوره المعرفي الخاص، وهي بذلك تختزل ظاهرة الحوار في نوعية منه تتمثل في تلك التي يكون كل أطرافها أصحاب رؤية كلية واحدة، وليس بخاف أن حوار الرسل مع المكذبين، والصالحين مع الطالحين لم تتوافر فيه بأي حال تلك المرتكزات الثلاث. وجرّت تلك المقدمة المختزلة غير الواقعية خاتمي إلى القول بأنه **(لا حوار)** بين طرفين يدعي أحدهما امتلاك الحقيقة كاملة، والبون شاسع بين أن تجعل دعوى شرط الوجود كطرف في الحوار الاعتراف بعدم امتلاك الحقيقة كاملة، وبين القول بأن الحقيقة الكاملة كما تجسدت في القرآن المصدق المهيمن، تفرض على المحاور المسلم أن يكون صاحب يقين بل حق اليقين، الذي ينبع منه تسليمه بمبدأ لا إكراه في الدين، وبفرض الدعوة إلى كلمة سواء محققة لإنسانية الإنسان الحرة .

ويقع الطرح الخاتمي في تناقض يدحض بذاته مقولة التسوية بين أطراف الحوار في نسبة الحقيقة، حين يبين أن الرؤية الغربية عبثت بمفهوم الإنسان وجعلته في موضع أسيراً للفردية الليبرالية التي لا قيد عليها تارة، وللفردية المتصور استعادتها بجماعية اشتراكية قهرية تارة أخرى، بعد أن كان إنسانا كونيا أخلاقيا عابدا لله، منتميًا لأمة، متلقياً لكلمة الله. فهل استعادة الاعتبار لمفهوم الإنسان يمكن أن تتحقق فيما لو كان الحوار بين طرفين كل منهما يرى أن دعواه لا تقوم على دليل قاطع؟ وهل من الصواب التأسيس المعرفي على التسوية بين رؤية للإنسان قاهرا للطبيعة أو مقهورا بها؟ يرى بعقله وهواه، وبين رؤية تراه كائنا عابدا لله مؤتمنا، مسبحا في كون كل ما فيه يسبح بحمد الله، جامعا بين نور الوحي المنزل والعقل المنضبط به في رسم خريطة الحق / الواجب الكوني الإنساني؟ .

وينسى خاتمي وهو يحدد الغائبين الذين لا حوار فعال دونهم، الغائب الحقيقي، ينطلق من شكواه من معاملة الغرب لعالمنا الإسلامي على أنه موضوع للحوار وليس على أنه شريك فيه ، إلى القول بضرورة: معرفة كل طرف بحقيقة الآخر، والتسامح المتبادل، والانطلاق من أرض الواقع، والاستفادة من العبرة التاريخية، بما أن التاريخ حقل تجارب. وينسي أن الانطلاق من مرجعية صحيحة شرط لضبط تلك الرباعية بكافة مفرداتها. والغائب الحقيقي بالتالي هو: تعافي أمتنا من الوهن، ولعل من الغرابة بمكان أن تسبق الدعوة لحوار بين الأمة الإسلامية والغرب، الدعوة إلى حوار إسلامي إسلامي يستعيد آصرة البنيان الإسلامي المرصوص، والجسد الإسلامي الواحد، أو حتى لما هو أدنى من ذلك: شورى إسلامية جامعة،

تصلح ذات البين الإسلامي، وتوحد كلمته، وترشد حركته في الحوار مع الآخر.

ومن هنا فإن النتيجة جاءت موافقة لكل قول لا ترفده خطة عمل واعية، بقيت دعوة خاتمي مجرد شعار، وحمل السيل زبدا رابيا من نظريات كثر، من شاكلتها: صدام الحضارات، ونهاية التاريخ، والعولمة والنظام العالمي الجديد، والحرب على الإرهاب، والمعلوماتية، والفضاء الافتراضي، والاقتصاد المعرفي، والفوضى الخلاقة، وانشغل العقل المسلم بها ناقدا تارة، ومروجا تارة أخرى. والتفت في كلتا الحالتين عن الأهم، وهو استعادة عافيته الحضارية بتغيير ما بالنفس، والسعي بنية صادقة للخروج من وضعية الإمعية، ومن البيات، بل التيه الحضاري الراهن، وترك الكنز المعرفي القرآني الذي بين يديه، وراح ينقب عن مخارج من معين **(آفل)** بتعبير من سمانا مسلمين من قبل عليه السلام، متبعا سنن أهل الكتاب حذو القذة بالقذة، منقبا في جحور الضب، أو عن ماء في سراب بقيعة.

وحتى مع التسليم بضرورة الحوار بحكم الجوار، ولكون الأمم بعكس الأفراد لاتستطيع أن تغير جيرانها، فإنه لا طائل بحكم المنطق من حوار يتحاور الغرب فيه مع نوعيات مسممة بالتغريب لا تمثل أكثر من صور متدنية ومشوهة منه.

ومع تلك النظريات، عرف عالم ما بعد العام الأممي لحوار الحضارات تعميقا غير مسبوق لبناء العلاقة بين البشر على حق القوة الخشنة ، والخبيثة التي أسموها: ناعمة، وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا تحت معاول استباحة مبدأ قوة الحق، بعدوان صهيوني وغربي أثيم، بذريعة سموها:

الحرب على الإرهاب، ركنت أنظمة كثيرة بعالمنا الإسلامي وإن بدرجات متفاوتة إلى الظالم فيها مراعاة لمقولة: الشرعية الدولية، وجرت تغذية واختلاق فوارق، وتعميق العقوق لمبدأ المساواة والندية بين الأمم، ولم يقطع عالمنا مسافة تذكر على طريق استعادة ضبط العمران البشري بالدين[xxx]. ومن الأمراض التي عانى منها الحوار بين الشرق والغرب خلال العقد المنصرم: اعتباره غاية بحد ذاته، وتوظيفه لأغراق أنانية ضيقة، والسعي الغربي للإملاء الحضاري، وترويج الشكوكية ما بعد الحداثية، ومسخ مفهوم التسامح[xxxi].

ورغم كل المآخذ على أطروحة خاتمي التي لفتنا النظر إليها آنفا، فإنها تضمنت نواة يجب العض عليها بالنواجذ، مع تحويلها من شعار إلى برنامج عمل للأمة من أجل ميلاد تاريخ وجغرافيا أخلاقيين جديدين، تلك هي قوله أن المخرج من حالة الوهن الراهنة هو استلهام خبرة صدر الإسلام بمحاكاة خبرة تحول يثرب إلى المدينة المنورة، فمع التغيير باستبدال أيام الجاهلية بأيام الله، ونظم العمران بمنهج الله، اكتسب مفهوم المدينة وصف المنورة، وبات مكانه أعمق من مجرد بقعة مكانية، وزمانه لانهائي، لبيت مشترك، زاده التعانق بين الهدي الرباني المنزل والهجرة والنصرة والأسوة الحسنة.

ويقرر خاتمي– ونحن معه – أن الطريق إلى مستقبل يخلو من الوهن ويتحلى بأسباب العزة، نصفان، نصفه الأول: العودة إلى أحضان هوية البيت المشترك. ونصفه الثاني: فهم ثقافة غير المسلمين عبر حوار حقيقي، يقف كل طرف فيه في مكانه الصحيح. ولم تكن الحاجة يوما أمس مما هي عليه للعودة إلى هويتنا تلك، واستعادة المجتمع المدني الإسلامي الحقيقي بأركانه الأربعة: بناء كرامة الإنسان على أدميته وحدها، ومواطنة قائمة على الأخوة في الخلق،

أوفي الدين، ونبذ الهيمنة على الآخرين، والسعي لاكتساب أسباب التمكين، فلماذا استعجل خاتمي البدء في النصف الثاني من الطريق بالقفز على النصف الأول منه؟ ولماذا لم يستحضر في موضوع الحوار سمو ما بيدنا– توحيدنا الخالص– فيما لو خرجنا به لمحاورة الآخر على هديه، وليس بالبحث عن قواسم مشتركة بمعايير الآخر وشروطه؟

ومن العجيب أن كثيرا من العقول المسلمة التي تجاوبت مع مبادرة خاتمي، ومن بعده الأمم المتحدة، تعاملت مع مفهوم الحوار بمنطق عصا الساحر، وليس بمنطق عصا موسى. فلقد غالت أقلام كثيرة في تصوير الحوار على أنه جماع كل ما هو إيجابي ، ومبرأ من كل عيب، ونسوا أنه آلية يجتهد فيها كل طرف في ترويج ما يحمله من بضاعة زكية أو مسممة، ويخرج منها كل طرف وقد بات أكثر استنارة، أو أكثر فتنة وظلمة، فمنهم من اعتبره آلية لتعظيم القاسم المشترك بين البشر، ونسي هؤلاء أن ذاك القاسم من نوعين: عدم العصمة، والهوى المصحوبة بالقابلية للانحطاط إلى ما دون مستوى الأنعام، والفطرة السوية التي تستطيع بنور الوحي أن ترقى به إلى مصاف تكريم أسجدت له الملائكة بأمر الله في بداية عهده بالوجود. فأي القاسمين المشتركين هو الذي استهدف الحوار تحقيقه؟ وأين ما طرح على بساط البحث في ذلك الحوار من هذا الفارز الجوهري؟ إن من الخطأ تصور أن الغاية من الحوار هي قطع كل أسباب الاختلاف ، خاصة في الأمور العقدية. فالاختلاف سمة فطرية ثابتة لجل البشر إلا من رحم الله، بيد أن الاختلاف بين البشر أنواع: فاختلاف التنوع مصدر ثراء. أما اختلاف التضاد والتنابذ والفرقة في الدين فهو مذموم، ومن الاختلاف ما يكون سببه عدم توفر معلومة دقيقة وكاملة، ويعالج بتوفيرها، ومنه ما هو نابع

من التقليد الأعمى، ومن الكراهية والحسد الذي يعطل قنوات النظر والسمع، ويعمي البصر والبصيرة والقلوب.

ومنهم من كتب أن لا علاقة بين كافة أنواع السلام التي عرفها الإنسان، باستثناء السلام الإسلامي وبين مفهوم الحوار، فالسلام الروماني مفروض بالقوة النسبية في السلم والحرب، أما السلام الإسلامي فهو الوحيد القائم على فقه السفينة، وعلى نبذ الإغراق المعلوماتي، واستعادة الحميمية بين البشر ومع الطبيعة.

ومنهم من دعا رغم علو قدمه بين المفكرين المسلمين المعاصرين إلى تصحيح جوهري يتمثل في الدعوة إلى حوار بين الثقافات، وليس بين الحضارات التي هي المعطى المادي المجسد للثقافة، إلا أنه ما لبث أن فرغ تلك الإضافة المهمة من محتواها، حين دعا إلى عدم الخوض في الذاكرة الإسلامية للحوار الذي انهمك فيه المسلمون من صدر الإسلام مع الثقافات السائدة آنذاك على أساس من عدم الإكراه في العقائد والمعتقدات، وعلى التسامح والانفتاح الثقافي وعلى توجه لا إقصائي لجميع الطوائف والجماعات، واكتفي بانتقاء ثلة من المباديء الإسلامية المعنية بكرامة الإنسان والصالح الإنساني المشترك، والدعوة إليها[xxxii].

والأدهى والأمّر من كل ما سبق، أن منهم من حدد مفهوم (الأخلاق) بدلالته الغربية، المتمثلة في الآداب غير الملزمة بدلا من دلالته الإسلامية المتمثلة في الالتزام النابع من داخل الذات الإنسانية الفردية والجماعية، مقابل الإلتزام القانوني الحكم لظاهرها والمفروض عليها من الخارج[xxxiii].

فلقد لاحظ أن مفهوم الحوار غير وارد في ميثاق الأمم المتحدة، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، والعهد الخاص بالحقوق

المدنية والسياسية وإعلان مبادئ التعاون الثقافي. ورتب على ذلك اعتباره مفهوما سياسيا، وليس مفهوما قانونيا. فكيف تتحقق والحال هذه الالتزام برباعية: الإنصاف والعدل ونبذ التعصب والكراهية والاحترام المتبادل، وربط الحوار بمصالح الأمة الإسلامية العليا، وبالمشترك الإنساني، والتنسيق بين الأقطار الإسلامية في كافة ما يتعلق به[xxxiv].

ولا يخفى أن وصف الحوار على هذا النحو يغفل مبدأ تباين الرؤية الكلية ذات المسقط الرأسي التي يتكيء عليها الطرف المسلم، والرؤية الكلية الأفقية المسقط التي ينطلق منها الطرف غير المسلم[xxxv] .

ومنهم من قبل بالتخلي من أول الطريق عن موقع الطرف المبادر في الحوار، والوقوف في مكان الطرف المدافع اللاهث وراء تحسين صورته لدى الآخر مكتفيا بالمطالبة بالتصدي لعملية التشويه المتعمدة في الغرب لحضارتنا الإسلامية، بمقررات تربوية تنشيء أجيالا من الجاهلين بها المتحاملين عليها، واقترح توسيع نطاق الحوار حتى لا يكون حبيس النخب والغرف المغلقة، وابتكار آليات لتعميق التعاون بين الأقطار الإسلامية [xxxvi] .

ومنهم من أجاد في توصيف تخيير الغرب لأمتنا الإسلامية بالتخلف والإرهاب ما لم تتحول إلى النموذج الذي يعتبره ديموقر طيا ومتقدما، بالإرهاب الفكري والتمركز حول الذات ونفي للآخر، وإغفال المشترك الكوني بين الحضارات، ولكنه لم يبحث عن قراءة نقدية يحدد بها كلمة السواء الفاصلة [xxxvii].

وحتى الدراسة التي نعت على الجماعة المعرفية المسلمة التقاعس عن إخراج نظرية إسلامية للحوار، في مقابل إفراخ الغرب للعديد من النظريات المقابلة والترويج لها، وقعت من حيث لا تشعر، في غبار فخ الإعجاب بالزخرف الغربي. فحكمت عليها بالدونية بغير حق في ساحة الحوار بدعوى

كونها غير منتجة للمعرفة، وبأن العالم الإسلامي لا يملك بحكم خفة وزنه الحضاري المعاصر أن يكون شريكا في حوار حقيقي مع الغرب المنتج للمعرفة[xxxviii].

ومن الغرابة بمكان أن يأتي هذا القول وسط تحليل بديع لحقيقة أن ثمة نظريات طرحت على مدى أربعة عقود تتحدث عن أزمة داخلية بنيوية في النموذج الليبرالي الرأسمالي السائد من بداية عصر النهضة، حيث تم تحويل الإنسان إلى آلة إنتاج واستهلاك دون جوهر معنوي أخلاقي، مع المغالاة في تصور قدرة العقل البشري على حل كافة المشكلات على نحو غابت معه إمكانية تحديد الغاية العليا والتحكم في وسائل الوصول إليها، واعتبار الكم معيارا لا نهائيا، ونقض تلك التي ترد أزمة الغرب إلى عامل خارجي، وتلك التي تزعم نهاية التاريخ بإجماع عالمي على ذلك النموذج، وتقرير حاجته إلى إنقاذه بمخزون إنساني من حضارات أخرى[xxxix].

إلا أن زكي الميلاد قدم إضاءة معرفية مهمة حين قرر أن المؤهل أن يكون طرفا في حوار حضارات حقيقي مع الغرب هو: الدين الإسلامي ذاته، وبمعنى آخر، فإن استعادة الهوية والصبغة الإسلامية الحقيقة، وتسلح المحاور المسلم بها، يطرح سؤالا مشروعا: كيف ندخل في حوار حضارات ونحن فاقدون لإمكانية الاعتماد على النفس في تكوين المعرفة بحضارتنا؟ وفاقدين للمعرفة بالحضارات الأخرى في غيبة مركز بحوث إسلامي جامع للعقول المفكرة المتخصصة المعنية بالتأسيس المعرفي لحوار الحضارات؟ أو حتى حولية متخصصة جامعة؟

وانفردت دراسة واحدة من بين مايربو على عشرين بحثا ومحاضرة بمؤتمر خاص بموضوع الحوار بين الشرق والغرب، بالتنبيه إلى أن الحوار

يجب أن تكون له مرجعية، بوصفه مجرد آلية لضبط الاختلاف بين البشر، وأصله بالنسبة لأمتنا هو دعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلة بالتي هي أحسن، وبالتالي، يلزم أن يكون محكوما بقيم المرجعية الإسلامية الملزمة المستقاة من القرآن وصحيح السنة[xl].

وهذا كبد الحقيقة، فوحدة البشر هي الأصل، والاختلاف والاتفاق بين البشر نسبيان، والاختلاف تنوع في سياق تلك الوحدة، والقرآن صريح في بيان أن الحكم في الاختلاف بين البشر في الدنيا والآخرة هو لله، وبالتالي لا موضع للقول بتعدد مرجعية البت فيه، فالمرجعية لله، وليست للمختلفين (راجع: يونس:١٣، الزمر:٣،٤٦، الشورى:١٠).

وطرحت دراسة وحيدة أخرى السؤال الجاد الواجب الحفر المعرفي فيه وهو: هل التقدم التقني المجرد عن معيار صحيح، وعن خدمة رؤية حياتية إنسانية يستحق وصفه بكونه معطى حضاريا؟. فالثورة التقنية أحدثت كشوفا هائلة ، لكنها مصحوبة بتعريض فرصة الحياة على الأرض للخطر. وفي غيبة الربط بين الإنجاز التقني والمعيارالأخلاقي الإنساني وجهت جل الكشوف للعسكرة بدل العمران، وزاد التلوث بكل صنوفه، في وضعية اغتيال لإنسانية الإنسان وتحويله إلى سلعة في سوق ربوي ضخم، زاده الرئيس الخداع، والقول المخالف للفعل، بضجيج رهيب خاص بحقوق الإنسان مصحوب بسلوكيات تهدر تلك الحقوق، بل تجتثها من جذورها، وتمسخها[xli].

وإذا تجاوزنا القراءة النقدية لأدبيات الحوار، إلى دائرة التدبر في دروس سيرة السير في أرض الواقع منذ العام الأممي للحوار بين الحضارات، فسنجد أدلة دامغة على **غياب المرجعية والعدة معا ،ونفاذ السنن الإلهية فيمن يحاور بدونهما،**

فلقد شهد العقد الأخير مسعى غربيا محموما لاختلاق عدو، وتوسيع حلف شمال الأطلسي، وتوسيع نطاق دوره، وترويج دعاوى صراع الحضارات، ونهاية التاريخ لصالح النظام الليبرالي الرأسمالي[xlii]. وشهد العام الأول بعد إطلاق خاتمي للدعوة لحوار الحضارات، تفاقم صعود صقور الاستكبار، واتهام عالمنا الإسلامي بأنه مفرخة للإرهاب، ومحاولة إخضاع عالمنا الإسلامي لسايكس بيكو جديدة، وداعبت عقل الملأ الأمريكي أحلام الأحادية القطبية، والاستبداد الخبيث الموصوف بالناعم، ومكاء الدفاع عن حقوق الإنسان المصحوب في الواقع بأبشع الانتهاكات له، وقلب الحقائق، والمعايرة بالمصالح الأنانية المغلفة بدعوى ديموقراطية مزيفة .

وأكدت معطيات الواقع المعاش أن الليبرالية غير قادرة على الجمع بين الحرية ومنع الظلم، فالغرب يعاني من تقدم تقني مصحوب بإعاقة على مستوى رؤيته الإنسانية، ولا مخرج لذلك النموذج أبدا من داخله من حمى (المابعد)، و(النهايات) الموهومة المستنسخة، والداروينية الاجتماعية، وأكذوبة التطور الخطي المصحوبة بالقراءة الانتقائية المغرضة لمتغيرات ما بعد الصراع السوفيتي الأمريكي داخل البيت الغربي، باتجاه نهاية مزعومة للتاريخ، أو باتجاه صراع بين الحضارات، إمكانية التعاون في ظله واردة بين كل الحضارات باستثناء الحضارة الإسلامية. وجرى تعتيم شديد على حقيقة أن الصراع الراهن ليس بين الحضارات بل بين المصالح والأطماع، كما جرى تشويش على الأصوات الناقدة للحضارة الغربية من داخلها، المحذرة من عاقبة خوائها الروحي.

ونود في نهاية هذا الطرح الأولي أن نضم صوتنا لمن قال بضرورة التمييز بين القراءة العشوائية التي لا تتمخض عن أكثر من معرفة سطحية ومفاهيم مجزأة، والقراءة الواعية الصادرة عن الوعي بأهيتها وشروطها وتأثيرها، والقراءة الواعية

البانية للعقل والوجدان والنفس والخيال، والصالحة لانفتاحنا بها على ذاتنا الحضارية وعلى الآخر، وتدارك أزمة ثقافة الأمة على مدى ما يزيد على نصف قرن النابعة من: فشل السياسات التربوية والتعليمية في إشاعة ثقافة القراءة والوعي القرائي، وقصور السياسات الثقافية في العالم العربي الإسلامي، وضحالة الموارد المرصودة لقطاع الثقافة، وصرف وسائل الإعلام الانتباه عن الثقافة، وأزمة اللغة العربية، وغياب الوعي بكون الثقافة بمدلولها الكلي: الثقافة العلمية، السياسية النقدية الإبداعية المستقبلية الفلسفية الإعلامية المعلوماتية التاريخية، قضية إستراتيجية في المقام الأول[xliii].

ونحن بحاجة إلى تمكين النشء المسلم من القراءة الصحيحة للمصادر التأسيسية لهويته وفي مقدمتها القرآن والسنة النبوية الصحيحة، ولقد مر أكثر من قرن على دعوة الإمام محمد عبده للتخلص مما أسماه (الصوارف عن القرآن). فهل لم يحن الأوان بعد لتلبية هذه الدعوة، واستعادة عزتنا بالقرآن، وإنقاذ البشرية جمعاء به[xliv]؟

الهوامش المرجعية:

[i]- رصد الباحث هذه المضامين واستخلصها من استقراء مادة (حور): لسان العرب لابن منظور، القاموس المحيط، مقاييس اللغة، العباب الزاخر، في: موقع الباحث العربي: http://www.baheth.info

[ii]- د. محمد سيد طنطاوي، مختارات من أدب الحوار في الإسلام، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص٥-٦.

[iii]- النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، سورة الكهف: ٣٤-٣٧. ضمن: تفسير القرآن الكريم، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمان،٢٠٠٢. وهذه النسخة مقسمة بعدد صفحات القرآن الكريم في كافة التفاسير التي عليها. والموقع على الإنترنت هو: The Royal Aal **al**-Bayt Institute for Islamic Thought و http://www.altafsir.com/indexArabic.asp -58k. وسنكتفي في الهوامش التالية بالإشارة إلى التفسير المستعان به من هذا الموقع.

[iv]- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، سورة الكهف: ٣٤-٣٧. ضمن: تفسير القرآن الكريم، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمان،٢٠٠٢ .

[v]- تفسير خواطر محمد متولي الشعراوي ، الكهف :٣٢-٤٢.

[vi]- ابن عجيبة ، تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، الصافات :٥١-٥٣.

[vii]- بينت في دراسة سابقة لي عن الوالدية أن الأمر الإلهي بالإحسان للوالدين يمتد إلى وجوب الإحسان للأرض ذاتها، بما أن الإنسان خلق من تراب، وبما أن كل ما عليها مسخر له مسبح بحمد الله تعالى، بقيامه بما خلقه الله له، غير منكر لإحسان الله إليه، وغير جاحد لإحسان الإنسان فيه. راجع في تفصيلات هذه الفكرة: د. السيد عمر، الوالدية والتربية السياسية للأبناء في ضوء الرؤية الكونية الحضارية الإسلامية ،مقاربة أولية في التأسيس المفاهيمي، ضمن : ندوة: نحو والدية راشـــدة من أجل مجتمـــع أرشد ،كلية التربيـــة بسوهاج ،جامعة جنوب الوادي ، ومركز الدراسات المعرفية ، مارس ٢٠٠٤.

[viii]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، طبعة الملك فهد، ٢٠١٠، ص١٧٢ (الأنعام:١٦٣-١٦٤)

[ix]- تفسير القرطبي ،ج١، ص ١٧٢(الأعراف:١٦٤-١٧٠) .

[x]- انظر في تفصيلات هذا النموذج: الشعراء: ١٠- ٤٨، طه :٤٢-٥٤ .

[xi]- سيد قطب، في ظلال القرآن، طبعة الملك فهد (غافر: ٢١ - ٤٨).

[xii]– محمد رشيد رضا، تفسير الكتاب الحكيم، المسمى تفسير المنار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٢، فصلية ٦، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٢،(ص٦–١٨)، ص٢٥ –٢٧، ص٣٧–٣٩، ص ٤٢–٤٣ .

[xiii]– المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٢–٦٠

[xiv]– نحت باحث مغربي مسمى لهذه القراءة هو: القراءة الآياتية. انظر في تفصيلاتها: د.أحمد عبادي، "أميتان وجب رفعهما "، ميثاق الرابطة المحمدية للعلماء ،الرباط ، العدد ٦٢ ، ٢٠١١/١٠/٢٨

[xv]– القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، الأعر اف :٢٧ .

[xvi]– اقتصادا في الهوامش، وتحقيقا لإمكانية الرجوع إلى الشاهد القرآني، سنكتفي في هذه النقطة بإثبات اسم السورة ورقم الآية بين قوسين في المتن .

[xvii]– محمد رشيد رضا، تفسير الكتاب الحكيم، المسمى تفسير المنار، القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١، ١٩٩٠،ص٧–٨.

[xviii]– وردت مادة التقوى بالقرآن بمختلف تصريفاتها، ٦ مرات بلفظ (المتقين)، (البقرة:١٧٧، الأنفال:٣٤، الرعد:٣٥، الفرقان:١٥، محمد:١٥)، وبلفظ (المتقون) ٢٥ مرة (البقرة:١٨٠، ١٩٤، ٢٤١، آل عمران:١١٥، المائدة:٢٧، التوبة:٤، ٧،١٢٣،٤٤،٣٤، الحجر:٤٥، النحل:٣٠، ٣١، مريم:٨٥،٩٧ ص:٢٨، الزمر:٦٧، الزخرف:٦٧، الجاثية:١٩)، وبلفظ (للمتقين) ١٨ مرة (البقرة:٢، ٦٦، آل عمران:١٣٣،١٣٨، النساء:٤٦، الأعراف:١٢٨، هود:٤٩، الأنبياء:٤٨، النور:٣٤، الشعراء:٧٤، القصص:٨٣، ص:٤٩، ق:٣١، الزخرف:٣٥، الدخان:٥١، الذاريات:١٥، الطور:١٧، القمر:٥٤، المرسلات:٤١، القلم:٣٤، النبأ:٣١). ووردت بلفظ (اتقى) سبع مرات: (البقرة:١٨٩،٢٠٣، النساء:٧٧، الأعراف:٣٥، النجم:٣٢، الليل:٥). وورد لفظ (التقوى) تسع مرات: (البقرة: ١٩٧، المائدة :٢، الأعراف:٢٦، التوبة: ١٠٨، الحج:٣٧، الفتح:٢٦، المجادلة:٩، المدثر:٥٦، العلق:١٢)، وبلفظ (تقواهم) مرة: (محمد :١٧) .

[xix]– فواتح البقرة، في: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبعة الملك فهد، ص١٤١، (الأنعام:١٠٧–١٠٨). هذه الطبعة في ٦٠٤ صفحة بعدد صفحات المصحف. http://www.kietaballah / altafsir.com/alsaady/514.hti

[xx]– أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لحكام القرآن، طبعة الملك فهد، ٢٠١٠، ص١٤٤ (الأنعام: ١٢٥).

[xxi]– المرجع السابق، ص١٤٣ (الأنعام: ١٢٤) .

[xxii]– المرجع السابق، ص١٤٢ (الأنعام:١١١–١١٣، ١٢١) .

[xxiii]– عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبعة الملك فهد، ص١٤١ (الأنعام: ١٠٧ –١٠٨). هذه الطبعة في ٦٠٤ صفحة بعدد صفحات المصحف http://www.kietaballah.h / altafsir.com/alsaady/514.hti

[xxiv]– راجع: البقرة: ١٤٤–١٥٠. وللفاروقي رحمه الله كلام نفيس في هذا الصدد. راجع: د.إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد: مضامينه على العلم والحياة، ترجمة وتقديم: د.السيد عمر، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١١.

[xxv]– انظر تفسير الفاتحة وأوائل البقرة في: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، معهد آل البيت الملكي للفكر الإسلامي.

[xxvi]– تفسير البغوي، ص٥٨. وهذه الطبعة في ٦٠٤ صفحة بعدد صفحات المصحف altafsir.com/bagawi/58.h

[xxvii]– أبوعبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لحكام القرآن، طبعة الملك فهد، ٢٠١٠، ص٥٨ (آل عمران:٦٤).

[xxviii]– تفسير الطبري، ص٥٨. وهذه الطبعة في ٦٠٤ صفحة بعدد صفحات المصحف http://www.kietaballah.h / altafsir.com/Tabary/58.htr

[xxix]– عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مرجع سابق، ص١٤١ (الأنعام :١٠٧ –١٠٨). هذه الطبعة في ٦٠٤ صفحة بعدد صفحات المصحف .h http://www.kietaballah / altafsir.com/alsaady/514.hti

[xxx]– د. السيد عمر، **السياسة الخارجية الإيرانية فى عهد الرئيس خاتمى**، مجلة شؤون خليجية، العدد ٢٥ ربيع ٢٠٠١ .

[xxxi]– من المفارقات الجديرة بالتنبيه عليها هنا أن كتابا يقع في قربة ستمائة صفحة ترجم إلى العربية ونشر على نطاق واسع في مصر مؤخرا بسلسلة مكتبة الأسرة. وترجمه أستاذ جامعي مرموق من كوادر الإخوان المسلمين بمصر، يطفح بدس السم في العسل، ويزعم أن الأديان المنزلة هي أساس عدم التسامح بين الأمم مايكل انجلو يكوبونتش، أعداء الحوار: أسباب اللاتسامح ومظاهره، ترجمة: د.عبد الفتاح حسن، القاهرة: دار شرقيات للنشر والتوزيع،٢٠٠٩. وصدر في طبعة شعبية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بسلسلة مكتبة الأسرة عام ٢٠١١ .

[xxxii]– الحسن بن طلال، ورقة صاحب السمو الملكي الأردني، ضمن: كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، مجموعة محاضرات ألقيت بمؤتمر بدمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، عام ٢٠٠٢، ص٢٧–٣٣.

[xxxiii]– راجع الفرق بين مفهوم الأخلاق في المنظور الغربي في مقابل مضامينه في المنظور الإسلامي، والتي يمكن إيجازه في ربط إنسانية الإنسان بمجملها بالفعل الأخلاقي الحر المسؤولفي الدنيا والآخرة، في: د.اسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد: مضامينه على العلم والحياة، ترجمة وتقديم: د. السيد عمر، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١١.

[xxxiv]– د.عبد العزيز التويجري، رؤية الإيسسكو للحوار بين الحضارات، المرجع السابق، ص٤٠-٥٣. وطرحت الإيسسكو مجموعة استراتيجيات للتقريب بين المذاهب، والاستفادة من العقول المسلمة المهاجرة، وتفعيل دور الجاليات الإسلامية في تصحيح الصورة الإدراكية الغربية عن الإسلام.

[xxxv]– انظر في تفصيلات الفرق بين المسقطين: د. السيد عمر، بصائر منهجية في التعامل مع التراث: إطلالة على العطاء المنهجي للعلامة منى أبو الفضل، ضمن أعمال ندوة: قراءة في منظومة العطاء الفكري للدكتورة منى أبو الفضل: مشروع "قراءة في الفكر الحضاري لأعلام الأمة"، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية بالتعاون مع برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، ١٥-٢٠٠٩/٣/١٦

[xxxvi]– كلمة: د.منجي بو سنينة، مجموعة محاضرات ألقيت بمؤتمر بدمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، عام ٢٠٠٢، ص٣٤-٣٥.

[xxxvii]– د. فيصل كلثوم: حوار الحضارات وصيان الأمن العربي، المرجع السابق، ص٣٦-٣٩.

[xxxviii]– زكي الميلاد، من أجل بناء نظرية لحوار الحضارات مؤتمر دمشق، مرجع سابق، ص١٠٩-١٢٠. قارن مع: د.السيد عمر، المعايرة المعرفية للتحيز الثقافي من فكر منى أبو الفضل والمسيري، أنقرة: المؤتمر العربي التركي الأول، ٢٠١١.

[xxxix]– زكي الميلاد، من أجل بناء نظرية لحوار الحضارات مؤتمر دمشق، مرجع سابق، ص١٠٩-١٢٠. ولمزيد من التفصيلات راجع: روجيه جارودي، حوار الحضارات، ترجمة: د.عادل العوا، بيروت: منشورات عويدات، ١٩٧٨.

[xl]– محمد علي التسخيري، قيم الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية، المرجع السابق، ص٥٩-٨٠ .

[xli]– د.السيد عمر، المعايرة المعرفية للتحيز الثقافي من فكر منى أبو الفضل والمسيري، أنقرة: المؤتمر العربي التركي الأول، ٢٠١١

[xlii]– د. ماجد شدود، حوار الحضارات وآفاق المستقبل، مؤتمر دمشق، مرجع سابق ، ص٨١-٩٦ .

[xliii]– د.عبد العزيز بن عثمان التويجري، التجديد والمستقبل، القاهرة: دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع،٢٠١١، ص٢٠١-٢١٦.

[xliv]– د. السيد عمر، التنشئة السياسية لدى مدرسة المنار، مجلة النهضة،القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، يناير ٢٠٠٤.